

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

التخصص: لسانيات عامة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر بعنوان :

مفهوم النسق بين الدرس البنيوي و الدرس البلاغي

إشراف الدكتور:

إعداد الطالب:

— غندوز محمد.

طيب عبد القادر.

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا

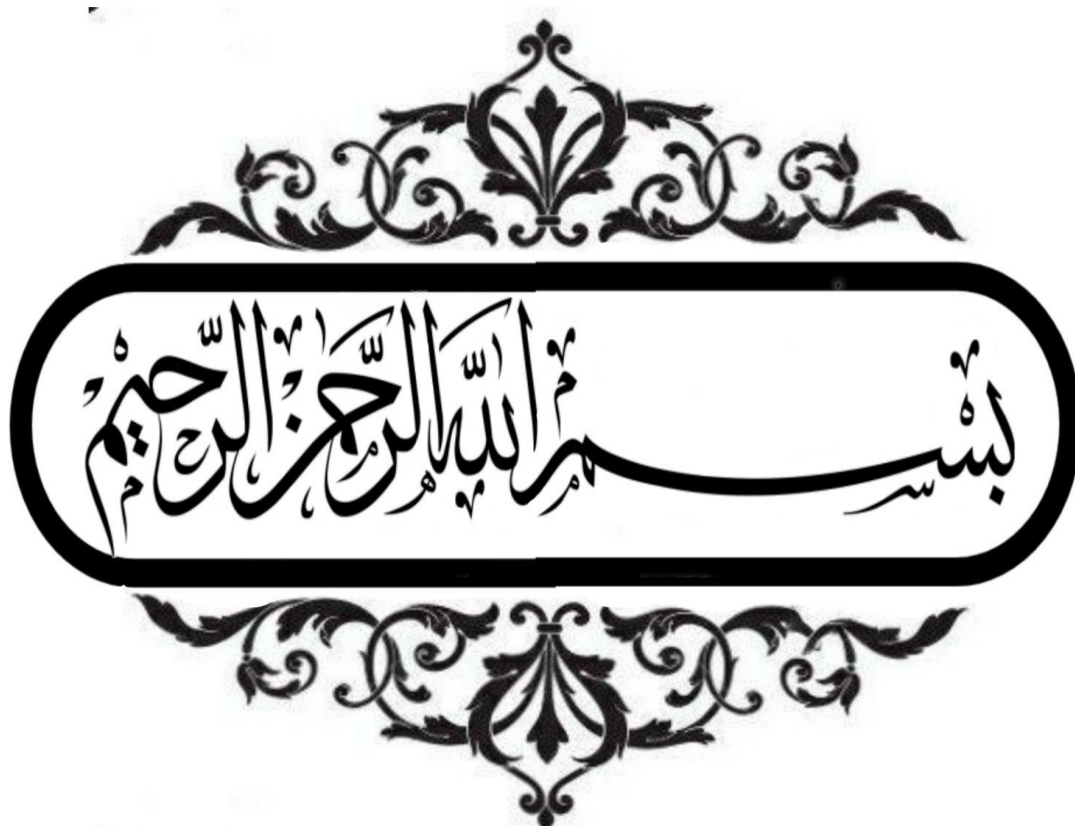
جامعة غليزان

1- أ/ لخضر هامل

مشرفا ومقررا

جامعة غليزان

2- أ/ عثماني عمار



الشكر والتقدير

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

إلى الدكتور: "عَنْدُوز مُحَمَّد".

"أستاذنا الفاضل، بينما نتأمل الصفحة المليئة بالتضحية والعطاء، لا نستطيع إلا أن نعبر

عن امتناننا العميق لك وعلى الجهود الجبارة التي بذلها في مساعدتنا خلال رحلة بحثنا، ولا

ننسى الفضل أيضا لأستاذتنا الأعزاء الذين كانوا نورا يضيء طريقنا نحو النجاح والتميز

وداعمين لنا .

سنحمل دائما قيمكم وعلمكم بفخر واعتزاز، شكرا جزيلا على ما قدمتم لنا، وونتطلع لمزيد

من التعاون في المستقبل".

إهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ".

صدق الله العظيم [الزمر-09]

"انتهت رحلتي الجامعية بعد جهد ومثابرة ,والآن أطلع لبداية جديدة "إلى أُمي العزيزة التي كانت دائما داعمة وملهمة ,شكرا لك أُمي على كل الحنان والتشجيع في رحلتي التعليمية, لا يمكنني ايفاء دين والشكر لك ,لكنني لأتمنى أن تعلمي أن نجاحي يرجع اليك , بشكر كبير ."

"إلى روح أبي العظيم ,الذي لا طالما كان الصخرة التي أستند لها, والقلب الذي علمني الحب والتضحية ,لك كل شكري وامتناني واعتزازي لك من كل قلبي ,على كل لحظة قضيتها معي ,وعلى كل درس علمتني اياه ,رحمة الله عليك ."

"إلى من عشت معهم أجمل لحظات حياتي, إلى شموع دربي ,إلى من شهدوا معي متاعب الدراسة وسهر الليالي زوجتي وبناتي ."

"إلى كل من شاركني فرحة التخرج ,ودعمني خلال رحلتي الدراسية, هذا الانجاز لكم أيضا ,فأتم كتم الدافع والالهام لي ."

"وأهدي تحياتي أيضا إلى أستاذي المشرف, الذي لم يقصر في مد يد العون لي"

أهديكم بحث تخرجي ...

✽ عبد القادر ✽

مقدمة

بسم الله الذي خلق الإنسان علمه البيان ، ووهبه التمييز والحكمة وكرمه على سائر مخلوقاته بالعقل،
ونصلي ونسلم على خير البرية مُحَمَّد ابن عبد الله :

أما بعد، إذا كان العقل أهم ما تميز به الإنسان، فإن اللغة من أهم ما أنتجه عقل البشرية، أين وجد الفرد ضرورة إيجاد وسيلة من خلالها يفكر، يحب، يتواصل، فوجد اللغة هي الوعاء الذي يستطيع أن يحوي هذه الأشياء وعلى هذا الأساس فاللغة كلام البشر سواء أكان منطوقا أو مكتوبا، ففكر الإنسان ونشاطه قائم على أساس اللغة فبقوة هذه الأخيرة يقوى الأول، وبواسطتها نضمن بقاء الإدراك الإنساني، حيث أن غياب عنصر اللغة يؤدي حتما إلى حالة من الجماد، فالإنسان هو عبارة عن آلة كسولة ، فاللغة هي التي تجعله في حالة نشاط و حيوية، و بالتالي تظل اللغة أكثر من أن نقول عليها أنها أعم من الفكر في حد ذاته، وبها يستطيع الفرد تغيير تفكيره أي أنها تحوي الأفكار وتطورها، فإذا كان الواقع يقر بحقيقة أن النهضة لا تتحقق إلا بالتقدم العلمي والثقافي والفكري، فإن من جهة أخرى يثبت أن اللغة هي بمثابة البوابة إلى التقدم والرفي بمعنى هذا أن النهضة لا تكون إلا من خلال اللغة، و نظرا للأهمية التي تكتسيها كانت محل دراسة واهتمام كبير منذ قرون عدة وتطورت على مر العصور من قبل أقطاب عديدة و اشتغل الباحثون على جميع جوانبه.

و لا يخفى على أي دارس في الحقل اللساني ما وصل إليه تأثير البحوث السوسيرية على مستويات الدرس اللغوي ، خاصة ما تعلق بالشق البنيوي الذي وصل إلى آفاق بعيدة تولدت من خلالها حقول معرفية تجاوزت الحقل اللساني (انثروبولوجيا ، سياسة ، الأزياء) و الأهم من ذلك أن اللسانيات البنيوية أضفت إلى بلورت مفهوم جديد و جوهري في هذا المجال و هو النسق ، ذلك المفهوم الذي لا يمكن مقارنته دون ربطه بجذوره اللسانية عامة و البنيوية خاصة و جوهر تركيبه يقوم على كشف العلاقات التي

تؤطر الوحدة اللسانية و بالتالي الخلوصل إلى ضبط قوانين هذه العلاقات لفهم كينونتها بدءا بالجملة ثم النص ثم الجنس الأدبي عامة .

و نحن في هذا البحث إذ نقارب هذا المفهوم راودتنا فكرة إيجاد صدى له في تراثنا البلاغي و ما إمكانية تبلوره في مقولات علماء البلاغة العرب ومنه كانت النواة الأولى لإشكالية هذا البحث و هي إلى أي مدى قاربت البلاغة العربية مفهوم النسق ؟ و ما أوجه التباين و التقاطع بين مفهوم النسق عند العرب و مفهومه عند الغرب ؟

و هل لخصوصية الدرس البلاغي العربي أثرها في بلورة مصطلحات تشاكل مصطلح النسق؟

ويمكن إيجاز دوافع هذا البحث في النقاط التالية:

- طبيعة الموضوع العلمية و المعرفية في توضيح الخلفيات النظرية للنسق في التراث العربي، وفي حقل الدراسات البنيوية، و اكتشاف كينونة التكوين النسقي في اللسانيات العامة.
- إظهار أن اللغة التي نتعامل بها يوميا، هناك علاقات وروابط قائمة بين وحداتها ولا يتم إنتاجها عن طريق العشوائية و الصدفة أي يحكمها نظام، و أي خلل في هذه الأنظمة يؤدي إلى خلل في اللغة حتى تظهر بأنها في وعاء النسق.
- النظرية النسقية نظرية جديدة ولا يخفى علينا بأنها لم تنل الضبط الوافر والدراسة الغزيرة وهذا هو واقع أي نظرية جديدة تظهر في البداية.
- إدراك مفهوم النسق في اللغة و كيفية النجاح إلى حد ما في رصد كل هذا المفهوم في الأعمال الأدبية و بالأخص النصوص الأدبية.

• ما زاد اهتمامنا بهذا الموضوع هو إثراء أهم الموضوعات التي تتعلق بدراسة النسق وحاجة النصوص الأدبية إلى هذه المقاربات.

وتبعاً لطبيعة الموضوع و سعياً للإحاطة بجميع جوانبه ، هندسنا مذكرتنا وفق الخطة التالية:

اشتملت المذكرة على فصلين نظريين ، تليهما خاتمة وجاءت المقدمة تمهيداً للموضوع والإشكالية، مستهلين البحث بالمدخل الذي وضعنا فيه بعض المصطلحات كمفهوم النسق و الفكر البنيوي والبلاغي و التراث العربي , أما الفصل الأول : تناولنا فيه مفهوم النسق في الفكر البنيوي الغربي : المفهوم و الأصول الفلسفية و العلمية للنسق البنيوي أيضاً تطبيقات النسق و خصائصه في مجالات مختلفة .

أما الفصل الثاني: تحت عنوان النسق في التراث اللغوي و البلاغي العربي فتناولنا فيه مبحثين خصصنا الأول للسياق اللغوي عند بعض علماء العرب , والثاني خصصنا فيه مقارنة بين النظم العربي و النسق الغربي و اختتمنا البحث بإسقاط دراستنا على نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني،

ولقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع ، من أبرزها: القرآن الكريم و المعجم العربي و كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني و البيان والتبيين للجاحظ و بعض الكتب القيمة لعلماء الغرب و العرب.

ولا يخلو فيما نعتقد أي بحث من الصعوبات والعوائق وهي ليست مدعاة للضجر ما دام الفضول العلمي يحدونا . و السعي لبلوغ الأهداف مبتغانا . و يمكن تلخيص بعضها كالآتي:

-الموضوع واسع جدًا, ويصعب فيه تحديد العناصر التي يجب دراستها.

-تعقيد الوصول إلى العديد من المصادر و المراجع يجعل التعامل معها صعبًا للغاية.

ومسك الختام الحمد لله على توفيقه و سداده

غليزان بي: 2025/05/12

المدخل

مفاهيم نظرية

مفهوم النسق

لغةً : نسق ينسق تنسيقاً الشيء نظمه ¹، نسق : النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد، ففي معجم "قاموس المحيط" نسق الكلام عطف بعضه على بعض، والنسق محرّكة ما جاء من الكلام على نظام واحد، ومن الثغور: المستوية ومن الحرير المنظم وكواكب الجوزاء، والتنسيق : التنظيم والتناسق بينهما، تابع و تناسقت الأشياء حروف النسق حروف العطف "عطف النسق" : العطف بالواو أو إحدى أدواتها ².

اصطلاحاً : يشكل النسق جزءاً مهماً من أعمال دي سوسير حيث يرى أنه هو تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقاتها فيما بينها عن بعضها البعض ³. إن الوحدات اللغوية التي تكون النص يجب أن تكون متماسكة و متألّفة حتى يتحقق المعنى، وكثيراً ما يكون النسق عقلانياً وكون عقلانيته غير قصدية ⁴، و يعرفه "دومينغ" على أنه شبكة المكونات المتبادلة التأثير والتي تشغل مجموعة من أجل الوصول إلى الهدف.

¹ - علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد للطالب معجم عربي ألفبائي، طبعة 7، تقييم محمود المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 212.

² - خليل المجر، المعجم العربي الحديث، أعاد النظر محمد الشايب، مكتبة الروس، باريس، 2811 ص 21.

³ - عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2877 ص 2.

⁴ - عمر مهيل، من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر العربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى،

الجزائر سنة 1222 ص 6.

حيث أي تغيير يطرأ على أي مكون من مكونات النسق يؤدي إلى تغيير مكوناته الأخرى، هذا من جانب اللغة، أما من جانب الفلسفة فرأت أن النسق مجموعة من العناصر المتداخلة تشكل كلاماً موحداً وغدت السمة النوعية له هي وجود سمات أخرى.

البنويّة:

لغةً من بنى يبني بناءً، أيّ صورة أو هيئة البناء، والعناصر التي أدت إلى تكوينه¹، والبنويّة اصطلاحاً هو منهج نقدي، يعتمد على قراءة النص وفق مبادئ وأسس مضبوطة، إذ ينظر هذا المنهج إلى النص على أنّه بنية لها قواعدها التي تُنظم عناصر الخاصة على نسق واحد، وتستقل دلالتها عن الخارج، فالمفاهيم والأفكار والدلالات تُستخرج من خلال قراءة النص².

خصائص المنهج البنوي :

اتسم المنهج البنوي بعدة خصائص ميزته عن باقي المناهج الحديثة في النقد الأدبي، وهذه الخصائص تتمثل فيما يأتي: الكلية أو الشمولية تعني خضوع العناصر التي تُشكّل البنية لقوانين تُميّز المجموعة كمجموعة، أو الكل ككلّ واحد، وهذه الخاصية انطلقت منها البنويّة في نقدها للأدب من المسلّمة القائلة إنّ البنية تكتفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى عناصر غريبة عنها وعن طبيعتها.³ إنّ العمل الأدبي إذاً يخضع لعدة قواعد وقوانين تطبع هذه العناصر بصفات تختص بها عن غيرها، أيّ أنّ البنويّة تُضيف طابعاً من التركيبية على العمل الأدبي، مثل: خاصية شمولية البنية وکليتها التي لا تسمح بالاكْتفاء بأجزاء منها عند الدراسة، ولا تسمح بإدخال ما ليس منها؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى تغيير في البنية.⁴

¹ - تعريف و معنى بنى في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي، المعاني، اطّلع عليه بتاريخ 2025/2/22. بتصرّف.

² - صلاح فضل، النشر العربي الحديث: أشكال نظرية ومناهج نقدية، صفحة 1. بتصرّف.

³ - عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي الحديث، صفحة 107-108. بتصرّف.

⁴ - نفس المرجع السابق

التحوّل : يعني أنّ هناك قانونًا داخليًا يقوم بالتغيرات داخل البنية التي لا تبقى في حالة ثابتة، فهي دائمة التغير، فكلّ عنصر من عناصر المنهج يتضمن جزءًا من البناء الداخلي للعمل الأدبي وله دور في البناء الهيكلي للعمل، وهو ما يُعطي النص عملية التجدد لكون النص الخاضع للتحوّلات الداخلية حاملاً لأفكار في داخله ومنتجاً لأفكار جديدة إذا ما دخلت على البنية التحوّلات.¹

الانتظام الذاتي: أي أنّ البنية تستطيع تنظيم ذاتها بذاتها لتُحافظ على وحدتها واستمراريتها، فكما يقول بياجى إنّ أيّ بنية باستطاعتها ضبط نفسها ضبطاً ذاتياً يُؤدي للحفاظ عليها، ويضمن لها نوعاً من الانغلاق الإيجابي، وهو ما يجعل البنية تحكم الذاتية بمكوناتها، بحيث لا تحتاج إلى شيء آخر يلجأ المتلقي ليستعين به على فهمها ودراستها وتذوقها.²

مبادئ المنهج البنيوي :

لقد قام المنهج البنيوي على مبادئ عديدة، من أبرزها ما يأتي:

"الأدب نصّ مادّي تام منغلق على نفسه" : حيث تتم دراسة الأعمال الأدبية في ذاتها، بغض النظر عن العوامل والظروف المحيطة بها، فالنص الأدبي قائم على كلماته وجمله، مُنغلق في وجه التأويلات كلها التي تُعطيه أبعاداً تاريخية واجتماعية ونفسية.³

¹ - عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي الحديث، صفحة 109-110، بتصرف

² - المرجع نفسه

³ - عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي الحديث، صفحة 105-111، بتصرف.

"اللغة هي التي تتكلم، وليس المؤلف" : هذا المبدأ نادى به رولان بارت في مقالته (موت المؤلف) من كتابه (نقد وحقيقة)، حيث يُلغى شخصية الكاتب في النص؛ ليتولّد المعنى بعيداً عن الظروف الخارجية، فيبقى الدور على القارئ في فهم سياقات النصوص والوصول إلى دلالاتها.¹

مستويات المنهج البنيوي يقوم المنهج البنيوي في تحليله النصوص الأدبية على مستويات متعددة، يُمكن تقسيمها على النحو الآتي:²

المستوى الصوتي : يقوم هذا المستوى على دراسة الحروف (أصوات اللغة) وتكويناتها و رمزيّتها و موسيقيّتها من تنغيم، ونبر، وإيقاع. المستوى النحوي يقوم هذا المستوى على دراسة تنظيم الكلمات وتركيب الجمل وتأليفها وخصائصها الدلالية والجمالية.

المستوى الصرفي: يقوم هذا المستوى على دراسة الكلمات والبُنى اللفظية لها، ووظيفتها في التكوين اللغوي.

المستوى الدلالي: يقوم هذا المستوى على دراسة وتحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة، والصور المتصلة بالأنظمة الخارجة عن حدود اللغة، المرتبطة بالعلوم النفسية والاجتماعية والتاريخية.

المستوى الرمزي: يقوم هذا المستوى على دراسة رمزية اللفظ، واستنتاج وتركيب ما تقوم به المستويات السابقة من دور في المعنى الجديد، وإنتاج مدلولات أدبية جديدة.

¹ - فاطمة البريكي، قضية التلقي في النقد العربي القديم، صفحة 29.

² - شير تاوريريت ، نظرية التحليل البنيوي للنص الشعري في كتابات النقاد العرب المعاصرين، صفحة 121. بتصرف.

أنواع المنهج البنيوي اعتمد المنهج البنيوي طرقاً منهجية في نقد النص الأدبي، منها ما يأتي:¹

المنهج الشكلياني : يقوم هذا المنهج على الاعتناء بالشكل أكثر من المضمون، فهو لا يُعنى بالظروف والعوامل الخارجية، ولا يُسقطها على النص عند تحليله، حيث يدعو هذا المنهج للاكتفاء بالنصوص في تحليلها، ويؤمن أنصاره بذاتية القارئ في فهم النصوص واستنتاج دلالاتها.

المنهج التكويني : يقوم هذا المنهج على تحليل النصوص الأدبية من منظور اجتماعي وآلي، أي لا ينظر للنص بانعزالية تامة عن الواقع الذي أنتج فيه، بل يرى أنّ الأدب تعبير عن الواقع، فقد حاول هذا المنهج الدمج بين الشكل والمضمون، وبذلك يُمكن للدال الواحد إنتاج مدلولات مختلفة باختلاف المتلقين، لكنها مع ذلك تتفق مع ضرورة إهمال المؤلف.

التراث:

لغة: بالرجوع إلى معجم "لسان العرب" فيما يخص دلالة كلمة "التراث" وفق السياق المعجمي نجدها مشتقة من الفعل الثلاثي: "ورث: الوارث: صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم، و الله عز وجل، يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين أي يبقى بعد فناء الكل، ويفنى من سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه... ورثه ماله ومجده، وورثه عنه ورثا ورثته ووراثته وإراثته. ورث فلان أباه يرثه وراثته وميراثا و ميراثاً... الورث والورث والإراث والإراث والتراث واحد... الميراث أصله مؤراث، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، والتراث أصل التاء فيه واو...

¹ - عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي الحديث، صفحة 144. بتصرف

وَالْوَرِثُ وَالْإِرْثُ وَالتُّرَاثُ وَالْمِيرَاثُ: مَا وُورِتْ؛ وَقِيلَ: الْوَرِثُ وَالْمِيرَاثُ فِي الْمَالِ، وَالْإِرْثُ فِي الْحَسَبِ. وَالتُّرَاثُ: مَا يَخْلُقُهُ الرَّجُلُ لَوَرِثَتِهِ، وَالتَّاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ".¹

اصطلاحاً : إن تعريفات التراث من الوجهة الاصطلاحية مختلفة متباينة، فهو مفهوم غامض وفضفاض، ومن الصعب الإحاطة به وتطويقه، ورسم محدداته بشكل دقيق؛ نظراً إلى تعدد دلالاته وتشعب معانيه ومفاهيمه واختلافها من مفكر إلى آخر ومن مبدع إلى آخر، ولعل السبب في ذلك التباين اختلاف المرجعيات الفكرية، وتنوع المشارب الثقافية. 2.

فهذا عابد الجابري يقرر أن التراث يطلق "بمعنى الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني" 3، وقريب منه سعد غراب، وحسن غزيل اللذان يتفقان في تعريف التراث بقولهما: "هو ما خلفته لنا الأجيال السابقة في مختلف الميادين: الدينية والفكرية والأدبية والعلمية والمعمارية، وآثار ذلك في أخلاق الأمة الوارثة وسلوكها وعقليتها". 4.

¹ - لسان العرب، لابن منظور، مادة "ورث"، دار صادر، بيروت، 2 / 199 ، 200 .

² - انظر: المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، حسن مخاي، أفريقيا الشرق،

المغرب، 2016 م، ص: 61 ، وإشكالية التراث والمنهج عند محمد عابد الجابري، ص: 6

³ - التراث ومشكل المنهج، ص: 74 .

⁴ - كيف نفهم التراث، سعد غراب، الدار التونسية للنشر، ط 1 ، 1999 م، ص: 12 ، وإشكالية التراث، حسن

غزيل، مجلة الإنخاف، العدد: 72 ، أكتوبر، 1996 م، ص: 25

الفصل الأول: مفهوم النسق في الفكر البنيوي الغربي

النسق عند دي سوسير

النسق عند كلود ليفي شتروس

النسق عند رولان بارت

النسق عند بعض علماء الغرب

النسق عند دي سوسير :

كثيراً ما يرتبط مفهوم النسق بالفكر اللساني السوسيري، ويكاد لا يختلف اليوم اثنان في أمر هذه الحقيقة؛ حقيقة أن الألسن جميعها أنساق من العلامات. لكن الحديث عن هذا المفهوم ليس لكونه مؤسساً لطبيعة الألسن فحسب، بل لكونه مؤسساً للفكر اللساني السوسوري أيضاً، بدليل قول دو سوسور وهو يصف مجهودات أوغست شلايشر المقارنة: "إن النسق، حتى وإن جرى من بعد التخلي عنه، أحسن من جملة من المفاهيم الغامضة"¹، وهو الموقف الذي عّقب عليه إنغلر قائلاً: "إن النسق، أو النزوع نحو النسق، ليس سوى مطلب إنساني للمعنى، وللنظام الذي يُمارَس على المادة، ويمكّن من إجراء التصحيحات اللازمة. إنه مبدأ منهجي"². وكثيراً ما تداول الفلاسفة مفهوم النسق منذ عصور مضت، بل إنهم اتخذوه عنواناً لمؤلفاتهم أو أجزاء منها؛ كما هو الشأن، مثلاً، عند كارل فون لينني، أو عند إيتيان كوندياك، أو غيرهما، حتى جاء أندريه لالاند فأحصى له دالتين، ترتبط أولاهما بطبيعة المجموعة من العناصر، أو الأشياء، حيث قال: "إن النسق هو مجموعة من العناصر، مادية كانت أو غير مادية، تتعلق إحداها بالأخرى"، ومثّل له بعبارات *Système solaire* و *Système nerveux*، و³*Système à trois équations*، وهي الدلالة التي عبّر عنها الباحثون المحدثون العرب بكلمة

¹ - مختار زاوي، مسائل في اللسانيات و علم العلامات: قراءة في نصوص فرديناند دو سوسور، بتصرف

² - نفس المرجع <https://www.alaraby.co.uk/culture> اطلع عليه بتاريخ 10.02.2025 على الساعة 20:16

³ - نفس المرجع

³ - نفس المرجع

"النظام" فقالوا: النظام الشمسي، وكلمة "الجهاز" فقالوا: الجهاز العصبي، وكلمة "النسق" فقالوا: نسق من ثلاث معادلات. أما الدلالة الأخرى فتربط بطبيعة الأفكار، وقد قال بشأنها: يدلّ مصطلح النسق خصوصاً على "مجموعة من الأفكار العلمية أو الفلسفية المتصلة في ما بينها اتصالاً منطقيّاً؛ لا من حيث صدقها، بل من حيث التجانس القائم بينها"، مستقيماً هذه الدلالة من تعريف مفهوم النسق قدّمه كوندياك بالقول: "إن النسق ليس سوى انتظام مختلف أجزاء فن ما أو علم ما، وفق نظام يستند بموجبه كل جزء إلى الأجزاء الأخرى، فيفسّر آخرها أولها¹".

ولئن دأب الباحثون المحدثون على التمييز بين الدالتين بترجمة كلمة *Système* تارة بالنظام وتارة أخرى بالنسق، لاعتقادهم أن الدلالة الأولى ترتبط بعالم الأشياء في حين ترتبط الأخرى بعالم الأفكار، ففي اعتقادنا أنه يجب ألا يُفهم من مفهوم النسق أنه مؤسس لطبيعة انتظام الأشياء في ذاتها، إنما هي تصوّراتنا، أو تمثّلاتنا لهذا الانتظام. صحيح أن الآلات والأجهزة التي ابتكرها الإنسان مكنته، أكثر من ذي قبل، من ملامسة طبيعة الأشياء وصور انتظامها، إلا أن التصورات هذه ليست في حقيقة أمرها سوى تمثيل للواقع وتمثّل له، وهي - والحال هذه - تنتمي إلى عالم الأفكار، شأنها شأن الأفكار الفلسفية أو العلمية التي يعبر عنها المفهوم الثاني للنسق.

والظاهر أنّ هاتين الدالتين هما اللتان استفاد منهما دو سوسور من أجل التأسيس لمفهوم النسق اللساني ومفهوم النسق النظري؛ فقد كان دو سوسور قارئاً لمعجم لالاند الفلسفي، منذ أن بدأ لالاند نشر محتوياته الأولى عام 1902، في منشورات الجمعية الفرنسية للفلسفة.

¹ - مختار زواوي، مسائل في اللسانيات و علم العلامات: قراءة في نصوص فرديناد دو سوسور

يتجلى النسق عند سوسير في ثلاث مستويات : اللسان (la langue)، اللغة (le langage)

، الكلام (la parole)، و صاغ ثنائياته بتطبيق مفهوم النقيض و فيها تظهر فكرة نسق اللغة و من بين هذه الثنائيات: الدال/ المدلول، الآنية / الزمانية، التركيبية / الاستبدالية، و سيظهر ذلك عندما نتطرق إليه فيما سيأتي:

1. اللسان: ظاهرة اجتماعية وجزء من الفطرة و يعني الاكتساب والإنتاج، "ويدل اللسان على النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان قوم من الأقوام".¹ اللسان أعم من اللغة والكلام لأنه يهتم بلغة قوم ما، فاللسان يدرس لغة من اللغات مثل اللسان العربي، اللسان الفرنسي، اللسان الانجليزي، و قال عز الدين إسماعيل عن اللسان في مقدمته الوافية لكتاب كللر: "اللسان نظام لغة ما ... واللسان هو ما يتمثله الأفراد عندما يتعلمون لغة ما، أي أنه جملة من الصيغ".² "لذا فاللسان هو النظام الذي يحكم لغة ما، العناصر اللغوية تكسب أهميتها من خلال مقابلتها مع العناصر الأخرى " اللسان نظام (système) تربط فيه جميع أجزائه بعضها البعض".³
- واللسان في تصور "دي سوسير" "نسق لا يعرف إلا طبيعة نظامه الخاص... يقوم على اعتبارية
- العلامات و لا قيمة للأجزاء إلا ضمن الكل".⁴

1 - أحمد مومن، النشأة و التطور، ص 123 .

2 - عز الدين إسماعيل، كتاب كللر : نقلا عن عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة نحو النظرية النقدية العربية، ص.213

3 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر 2113، ص. 155

4 - أحمد يوسف، القراءة النسقية - سلطة البنية و وهم المحاينة، ص. 111

التأثر بالأنثروبولوجيا البنيوية (كلود ليفي شتروس) :

ظهر كتابه الأنثروبولوجيا البنيوية (Anthropologie structurale) سنة 1958 مهد ليفي شتروس الطريق لتقبل البنيوية بوصفها محاولةً منهجيةً للكشف عن الأبنية العقلية الكلية العميقة كما تتجلى في أنظمة القرابة والأبنية الاجتماعية الكبرى، والفلسفة والأدب والرياضيات والأنماط النفسية اللاواعية التي تحرك السلوك الإنساني وتتلخص قراءته لدو سوسير في تحويل علم اللغة البنيوي من دراسة الظواهر اللغوية الواعية إلى دراسة بنيتها التحتية اللاواعية وجعله يتعامل مع المسميات أو الكلمات بوصفها كيانات مستقلة، والتعامل معها على أساس العلاقات التي تنظمها، وذلك اعتماداً على مفهوم النسق (system) على اعتبار أن الفونيمات (phonemes) أجزاء من هذا النسق وفي الوقت ذاته هي أنساق صوتية مشكّلة للبنية، وعليها اعتمد في تحليل أنساق القرابة (الكلمات والمصطلحات) بوصفها مجموعة من العلاقات الرمزية، فاكشف أن هناك توازناً بين التحول من الطبيعة إلى الثقافة وبين التحول في العادات كالطبيعة واللباس معلناً أن هدفه الأساس هو التمييز بين الطبيعة والثقافة.¹

ليفى شتروس وعلم النفس والتحليل النفسي :

استفاد ليفي شتروس، أيضاً، من دروس فرويد (Sigmund Freud) وبشكل خاص قراءته في أوديب (Œdipe)، حيث استلهم منه أدوات التحليل النفسي كآليات الدفاع والكبت (repression) والتشكل المضاد والاستبدال (substitution) والإعاققة؛ ليقوم بتفسير الأبنية من المنطقي إلى اللاعقلي ومن الفكر الواعي إلى اللاواعي.²

¹ - ليفي - شتروس - البنيوية - الأنثروبولوجيا / . <https://qannaass.com> لوحظ بتاريخ: 15 ماي 2025

² - علي محمد اليوسف: "مفهوم البنية بين شتروس و التوسير" في: www.couua.com، بتاريخ: 15 ماي 2025.

كما استفاد ليفي شتراوس من أفكار جاك لاكان (Jacques Lacan) المحلل النفسي الفرويدي لأنه اهتم أيضاً بالأبنية اللاواعية واعتمد في تحليلاته النفسية على اللغة بوصفها مرآة اللاوعي، واستلهم منه أيضاً مقولاته البنيوية حول الدوال (جمع دال)، ومن ذلك تأكيده (لاكان): «يمثل الدال ذاتا لدال آخر».

موقفه من الماركسية:

رغم أن ليفي شتراوس تأثر بماركس باعتباره أول من اعتمد النماذج في العلوم الاجتماعية، إلا أنه ظل ينتقد الماركسية والدراسات التاريخية والفلسفة الظاهرانية والوجودية لأنه ينظر إلى المجتمعات من بؤر لا تاريخية (سنكرونية)، وذلك جوهر البنيوية التي تدرس النصوص في إطارها الداخلي المغلق؛ فالتاريخ عنده يعاد تأسيسه كلما تم استرجاعه أو كلما تمت إعادة حكاية الأسطورة، فهو يحضر من خلال تفاعل الأبنية العقلية، والذي يقع في لحظة بعينها.¹

أما الفرد عند ليفي شتراوس فهو يرتبط ارتباطاً تلقائياً مباشراً بمجتمعه، بكل ما في هذا المجتمع من وحدة شاملة تنتظم العواطف والمعتقدات، ومن ثمة، ففي قراءته لدوركهيم (Emile Durkheim) ألح ليفي شتراوس على التضامن الآلي للمجتمعات القبلية.²

هذه الحقائق لا تنفي البتة دور ليفي شتراوس كمثقف عظيم استطاع أن يغوص في أعماق علم الأعراق وأن يخلق نوعاً من المواءمة بين علم الاجتماع والبنيوية، وكباحث انثروبولوجي استطاع استثمار اللغة والخطاب والتواصل الانساني والثقافة الإنسانية للكشف عن التحولات الحضارية في العالم من خلال

¹ - كلود ليفي شتراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1983، ص. 492.

² - كلود ليفي شتراوس: مداريات حزينة، ترجمة محمد صبح، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، دمشق، الطبعة الأولى، 2003، ص. 360.

الانطلاق من المجتمعات المسماة بدائية وتشخيص بنيتها الثقافية والمشارك بين القبائل التي درسها في علاقة ذلك بتطور الحضارة الإنسانية المعاصرة ومن ثمة استطاع التوصل إلى حقيقة أساسية تتمثل في كون الإنسان، بشكل عام، يمكنه صناعة حضارته الخاصة إذا توفرت الشروط لذلك كما أنه استطاع بشكل يقربنا من عمل ميشيل فوكو أن يميّط اللثام عن أكذوبة التفوق الحضاري لدى الغرب عبر تشرّيح مكونات الحضارة الإنسانية والتي تتشابه بين جميع الشعوب من حيث الجوهر ولا تختلف إلا من حيث المظاهر والوسائل المادية.¹

النسق عند "رولان بارث": (Roland Barthes) :

في الوقت الذي كان يشغل فيه "سوسير" في علم اللغة، كان قد تطرق "بارث" إلى شيء حساس فيها، إذ اشتغل بقضية مهمة ألا وهي المكان الذي يوجد بين الكلمات وليس مجموع العلاقات التي تحكم العلامات اللغوية.²

يتبين مفهوم النسق عند "رولان بارث" من خلال أهم مؤلفاته (نسق الموضة) وظهر ذلك في قوله: "فالنسق مجموعة من الوحدات و الوظائف مثل النسق اللساني، ونسق الموضة."³

إن سوسير تطرق إلى اللسان رلى أنه نظام من العلامات، لكن بارث يعرفه على أنه نسق من القيم أي كل عنصر له قنمة بالنسبة إلى عنصر آخر، فمثلا خمسة دنانير تظهر قيمتها بمقارنتها بقطعة أخرى، وهكذا تتضح لنا أن العلامة اللغوية لها قيمة بمقارنتها بغيرها من العلامات في التركيب فالتفاضل في

¹ - نفس المرجع السابق

² - إديث كريزويل، عصر البنيوية، ص 252-253.

³ - الانطلاق من دراسة اللغة بعدها ظاهرة اجتماعية متكاملة وشاملة (نسق متكامل).

استخدامنا للعلامة اللغوية لها فضل في إيصال المعنى الدقيق، كأن عقول مثلاً: كالفرق بين خمسة دنانير وخمسون ديناراً.

ذهب بارث إلى أن اللغة ليست سوى نسق واحد من الأنساق المتعددة للعلامة¹ فاللغة مثلها مثل هذه الأنساق التي تتمثل في الصور و الإيماءات للنوتات الموسيقية، و ارتباط هذه الأنساق مع غيرها

النسق عند "لويس يلمسليف":

في مطلع القرن العشرين، ظهرت مدرسة يلمسليف التي ارتكزت مبادئها على تطوير أفكار "دي سوسير" وتبدو نظريته هذه كنظام من القضايا الأولية، التي تندرج ضمنها مفاهيم "دي سوسير" الأساسية عبر منهجية استنباطية دقيقة²، وهناك من أطلق عليها تسمية المدرسة السوسيرية الجديدة كما تعرف خاصة على أفكار سوسير ومناهجه التي ساعدته على إرساء دعائم نظريته العلمية الغلوسيماتيك³. ونشأت هذه الأخيرة ضد مدرسة (براغ). كانت رغبة التمايز عن مدرسة براغ قد تجسدت بخلق مصطلح

"الغلوسيماتيك"⁴. وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهت هذه المدرسة بسبب انحصارها في الدانمارك وعدم ترجمة هذه المدرسة إلى اللغات الأخرى إلا أنه بعد الحرب العالمية ذاع صيتها وأصبحت

1 - إديث كرينزويل، عصر البنيوية، ص 253.

2 - ميشال زكرياء الألسنية، (علم اللغة الحديثة) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1123، ص 46.

3 - أحمد مومن، النشأة والتطور، ص 153.

4 - أحمد مومن، النشأة والتطور، ص 151.

معروفة خارج الدانمارك واعترف بها الكثير من اللسانيين حتى أصبحت الغلوسيماتيك موضوع مناقشات موسعة على مستويات مختلفة.¹

1 - نفس المرجع السابق

الفصل الثاني

النسق في التراث اللغوي

و البلاغي العربي

السياق في التراث اللغوي و البلاغي العربي

المقارنة بين النسق الغربي و النظم العربي

السياق في التراث اللغوي والبلاغي العربي

يلاحظ من يجيد النظر في التراث العربي أن العلماء العرب قد بحثوا في المعنى والسياق وذلك ،لان معنى اللفظة لا يتحدّد إلا من خلال السياق الذي يكشف عن المعنى المقصود، ولهذا فالسياق لدى العرب القدامى لا يقل أهمية عن الدرس الحديث، فقد أسهم فيه العلماء العرب على اختلاف مشاربهم من بلاغيين ولغويين ونقاد وأصوليين وكذا الفلاسفة المسلمين.

وهو ما حاولنا البحث فيه من خلال ربط دراسة السياق بالدرس العربي التراثي مبينين بذلك مدى إسهام التراثيون في السياق، وكيف تجلّت إرهاصات النظرية السياقية الحديثة في التراث العربي؟ وكيف أسهم الدرس العربي التراثي في دراسة السياق؟ و فيم تجلّى هذا الإسهام؟.

وقبل الحديث عن إرهاصات السياق لدى العرب القدامى ونظرتهم له لا بد من الوقوف على مفهوم السياق:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب السياق "أصله سِوَاق فقلبت الواو ياءً لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق وفي الحديث: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت".¹

أما عند ابن فارس فالسياق "من مادة سَوَّقَ السين والقاف ,اصل واحد، وهو من حَدَّو الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقا والسيقة: ما استيق من الدّواب ويقال سُقت إلى امرأتي صداقها و أَسَقَّتْهُ والسُّوق

1 - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج/3 ص.117

مشتقة من هذا لما يُساقُ إليها من كل شيء والجمع أسواق والساق للإنسان وغيره والجمع سُوقٌ إنّما سميت بذلك لأنّ الماشي ينساق عليها".¹

وعرفه الزمخشري: ساق النعم فانسقت وقدم عليك بنو فلان فأقدتهم خيلا وأسقتهم إبلا وولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد: بعضهم في أثر بعض ليس بينهم جارية و رأيته يكرّ في سوق الحرب: في حومة القتال ووسطه.²

ليتمحور المفهوم اللغوي للسياق حول التابع، والتتابع بين الأشياء هو التساق، ولا يكون متتابعاً إلا إذا كان له غاية لا بدّ من الوصول إليها، فلا تساق الإبل إلا لغاية، وكذلك سوق المبيعات إلى السوق، فالسياق في اللغة يدل على تتابع وانتظام في الحركة من دون انقطاع أو انفصال للتوصل إلى غاية محدّدة.³

ويتبيّن من هذا أن مادة (س و ق) تدور حول القيادة والإحاطة؛ فسائق الشيء هو القائد له، أو المسيطر عليه أو الدافع له وهي معان متقاربة.⁴

فيقوم تعريف السياق في المعجم على غاية يسعى لتحقيقها كما يدل على التابع والقيادة. وليتضح معنى السياق أكثر لا بد من المفهوم الاصطلاحي.

1 - نفس المرجع السابق

2 - ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ج1/ص469

3 - ينظر: محمد عبد العزيز عبد الدايم، فيصل المناخ، نظرية السياق بين التوصيف والت اصيل والإجراء، دار البصائر، ط1، بيروت، 2015، ص248

4 - ينظر: المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى دراسة، اسلوبية، ط1، اكااديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، 2011، ص13

ب- اصطلاحاً:

يقصد بالسياق تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود.¹

فهو "يدلّ على تتابع الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه، ويقصد به حوار الكلمات في التلاصق الرّكني للجمل في الملفوظ، أي ما يسبقها وما يلحقها من مفردات".²

أي أن ائتلاف الألفاظ فيما بينها في سياق معين يؤدي إلى تبيان المعنى كون أن "الكلمة يتحدّد معناها من خلال السياق الذي ترد فيه، حيث أنّ للكلمة عدّة استعمالات سياقية وكل سياق يظهر أو يحدّد أحد هذه المعاني أو وجها منها".³

ليكون السياق بذلك ضم الكلمات بعضها إلى بعض، وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها وما توحيه من معنى وهي مجتمعة في النص أو الحديث.⁴

فاجتماع الكلمات المفردة مع بعضها لتدل على معنى عام هو ما يقوم عليه السياق كما أن الكلمة يتغيّر معناها بتغيّر سياقاتها فكل سياق يحيل إلى معنى من المعاني التي يحملها اللفظ وذلك حسب سياق وقوعها.

1 - ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ط1، دار السياب، لندن، 2007، ص.52

2 - عبد القادر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي، دار ابن بطوطة، ط1، عمان، 2007، ص.98

3 - محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للنشر، ط1، القاهرة، 2001، ص.196

4 - ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص. 52

السياق (context) أو السياق اللغوي (linguistic context) هو البيئة التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة وهو تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تلي مباشرة ويتحدد من خلالها المعنى المقصود.¹

فالسّياق و بالتحديد السّياق اللغوي يرتبط بما تتشكل منه الكلمة والتي تعدّ عامل مساعد في تحديد المعنى من خلال مراعاة مستويات اللغة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية.

كما يعني السياق أيضا " مجموعة العوامل والظروف الاجتماعية وخاصة الثقافية التي أحاطت وتحيط بالمتكلم والسمع لذلك فهي تنعت بعوامل وظروف مواقفية كما يقال: سياقٌ موافقي، وهو ما أطلق عليه ابن خلدون الأداء والأسلوب، فأكد أنه عبارة عن المنوال الذي يُنسج فيه التركيب أو القالب الذي يُقرغ فيه.²

فيوجد على الأقل في كل موقف تواصلية شخصان، أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان أي المتكلم أو المخاطب على التوالي، وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة وترابط ضروب الاتفاق و التواطؤ للقيام بالفعل المشترك الإنجاز، وطوال مدة معينة من الوقت فإن نشاطات (عضوين فأكثر) من الجماعة قد تتسق وتنظم على معنى أن المتكلم ينتج عبارة أو ربما ليس ذلك فحسب، وإنما يصير فاعلا وينجز عددا من الأفعال الإنجازية.³

1 - ينظر: فاطمة الشبيدي، المعنى خارج النص، اثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوي، ط1، دمشق، 2011، ص.20.

2 - عبد القادر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي، ص.99.

3 - ينظر: فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قبيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص.258.

وهذان الطرفان يشكلان بنية السياق التي تتأسس عليهما وعلى الخواص المشتركة بينهما كما يتشكل السياق من الظروف الخارجية المحيطة به، ويقوم السياق على الجانب اللغوي من جهة والظروف المحيطة به من جهة ثانية فمراعاة هذه العوامل الخارجية تساعد في الوصول إلى المعنى.

وتحديد المعنى ونقله من معنى إلى آخر وهو خارج السياق أمر لا يتماشى وطبيعة اللغة التي هي في حقيقتها استعمال، والاستعمال سياق وتراكيب وعندما نتعامل مع اللغة فإننا لا نتكلم بالكلمات مفردة أو منفصلة عن الموضوع المصاغ لأجله.¹

ومنه فأحسن طريقة لفهم معنى الكلمة هو وجودها في التركيب الذي يسهم في إبراز معناها ويجعلها متباعدة عن تلك التي تقاربها أو تبدو مشابهة لها، بالإضافة إلى الوظائف الدلالية ذات الارتباط بالمحيط والثقافة اللذين يعبران عن دلالة اللفظ المستقلة عن كل كلمات اللغة. فالعالم كما هو موجود ومتصور هو إنتاج لثقافة المجتمع ولنظام اللغة المعجمي الذي يتواصل به الأفراد، كل كلمة لها مرجعها في العالم الخارجي، توظف في تركيب ترتبط بالعالم أو بجزء منه بطريقة تختلف عن الكلمات الأخرى. ليرتبط السياق بالجانب اللغوي من جهة وبالظروف الخارجية المحيطة بالكلام والموقف أو المقام الذي يكون فيه وكذا المتكلم والسامع و العلاقة بينهما من جهة أخرى.²

فاستعمال اللغة وتداولها هو ما يتطلب تحديد دلالة اللفظة وضبطها كون أن اللفظة متعددة المعاني ما يجعل الاستعمال كذلك متعدد وبالتالي يتوجب النظر في سياق الكلام الواقع فيه اللفظ المفرد.

1 - المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، ص. 06

2 - ينظر: أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، ط 1، دمشق، 2002، ص. 08

ويلاحظ من يمعن النظر في التراث العربي أن العرب القدامى قد تطرقوا للسياق وبحثوا فيه وذلك من خلال دراستهم للمعنى، فأسهم فيه البلاغيون واللغويون والفلاسفة المسلمين.

أولاً: السياق لدى الجاحظ (ت255هـ) :

السياق جانب أساسي في فهم المعنى في الدراسات العربية فنلغي للجاحظ إشارات عديدة متناثرة في كتبه ينتبه فيها إلى مسألة السياق الذي يفرض على المتكلم استخدام سجل بعينه على مستوى الدلالة على مستوى التركيب في نفس الوقت، وهذا جانب مهم في فكر الجاحظ يستحق دراسة مستقلة، إذ يكفي أن نشير هنا إلى تنبهه (الجاحظ) لخصوصية الاستخدام اللغوي للمجاز، حيث يرى أن المجاز لا يصح استخدامه في مجال المعاملات النفعية المباشرة، فيقول للناس أن يضعوا كلامهم حيث أحبوا إذ كان لهم مجاز إلا المعاملات، لأن سياقها العام وغرضها النفعي الإيصالي المباشر لا يستلزم ذلك بل ويجعله غير مستساغ.¹

إذ سبق الجاحظ الباحثين المحدثين في الوصول إلى السياق وتحديده بالرغم من اختلاف المصطلحات. لقد أشار الجاحظ إلى السياق انطلاقاً من تعريفه للبيان بأنه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محموله كأننا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر الغاية التي إليها يجري القائل والسماع إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع".² فالبيان عنده كل ما يوحى إلى دلالة معينة سواء أكانت لغوية أو غير لغوية من إشارات وإيماءات تحمل دلالة معينة.

1 - قادة عقاق، في السيميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، مكتبة الرشاد، ط1، الجزائر، 2004، ص.74 بتصرف

2 - الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1998، ج1/ص76

ويبدو أن مراده بالبيان أو الدلالة هنا ما يشمل الدلالة باللفظ وغيره من العناصر غير اللغوية التي تساهم في الكشف عن المعنى وقد فُسر هذا التعميم بقوله، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضححت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع، والتعبير «بأي شيء» يتسع لإدخال عنصر السياق اللغوي والخارجي في مجال الدلالة وتوضيح المعنى".¹

و الجاحظ لم يصرح بلفظ السياق وإنما أشار إلى مفهومه من خلال تعريفه للبيان. فقد كان للعرب البادرة الأولى في البحث الدلالي وبالضبط السياق وخير دليل على ذلك هو تنبهم لنظرية النظم والتي بدأت بوادرها الأولى على يد الجاحظ، ففي حديثه عن البيان يشير إلى اللفظة وهي مشتركة مع غيرها من الألفاظ لا إلى الكلمة المفردة وهنا إشارة الجاحظ إلى السياق ودوره في فهم المعنى.

و في قول الجاحظ في مفهوم البيان " كل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب "... إشارة صريحة للجانب اللغوي وغير اللغوي للسياق، ذلك أن "الناظر في اللغة على وجه التقعيد والوصف والتفسير ينتهي بالضرورة إلى اعتبار المتغيرات الخارجية التي تكتنف المادة اللغوية واستعمالاتها لأنها تشكل حجر زاوية في فهم الكلام بين المتلقي والمرسل، كما ،انها تمثل منطقة تأويلية واضحة لبناء المعنى الصحيح الذي قد لا يتحقق وفق البناء اللغوي فقط، بل لابد من قراءة الإشارة التي تحكم الموقف اللغوي وعناصره الداخلية والخارجية".² فتحقق الجانب اللغوي في اللغة لا يعني بالضرورة وضوح المعنى وبيانه فلا بد من إدراك العوامل الخارجية التي تؤثر إيمًا ت أثر في جلاء المعنى وفهمه وهو ما نجد الجاحظ قد أكد عليه، "فلا مندوحة إذا من الوقوف على السياق، فعلى ضوئه يتحقق التفاعل بين الذات والموضوع،

1 - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، جامعة الأزهر، ص.15

2 - فاطمة الشبيدي، المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، ص.12

ولا غرو في ذلك فلكل مقام مقال".¹ وهذه المقولة الأخيرة هي ما أسست للسياق في الدرس الدلالي العربي والتي كانت الشغل الشاغل للجاحظ بحيث تأكد من دور السياق غير اللغوي واللغوي في تحديد المعنى وفهمه.

وقد أعطى الجاحظ المزية في فهم المعنى إلى الجانب اللغوي و غير اللغوي والذي أطلق عليه مصطلح الإشارات. فينهض الجاحظ إلى مقارنة الدلالات -بما فيها الدلالات غير اللسانية- في إطارها المعرفي العام والشامل، لا الجزئي الميسر، رابطا -ضمن ذلك- اللغة بالسمة، والسمة باللغة على نحو ما، متوصلا من خلال ذلك إلى أن اللغة -باعتبارها علامة لسانية وأداة بيان- ليست هي آلة البيان الوحيدة، فالإشارة والعقد آلتان للبيان أيضا، ناهيك عن الخط الذي يعدّ شكلا من أشكال اللفظ معبرا عنه.² حيث إن الإشارة وسيلة ضرورية في العملية التواصلية وبالتالي لا يمكن الحديث عن اللغة كوسيلة للتواصل دون النظر للإشارات ضمن السياق الذي ترد فيه.

إذ أن الحاجة إلى معرفة السياق نابعة من أن صاحب النص لا يتقيد بحرفية اللغة، ولأن المعاني أيضا متجددة باستمرار، ولا بد لكي نحددها أو نتأثر بها من الوقوف على سياقها الذي وردت فيه، كما أن صاحب النص قد يستخدم الكلمات استخداما جديدا يكسبها معنى خاصا؛ وتبحث عن علاقات جديدة الكلمات في علاقاتها بعضها ببعض وبالبيئة المحيطة أيضا.³ فلا بد لفهم أي معنى النظر في

1 - محمد عبد العزيز عبد الدائم، عرفات فيصل المناع، نظرية السياق بين التوصيف والتأصيل والإجراء، ص. 96

2 - ينظر: قادة عقاق، في السيميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، ص. 35

3 - ينظر: المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى، ص. 18

السياق الذي وقع فيه الكلام. فقد أعطى الجاحظ المزية في فهم المعنى إلى الجانب اللغوي و غير اللغوي والذي أطلق عليه مصطلح الإشارات.

هكذا قرر الجاحظ فكرة السياق حين ذكر الصفات الثلاث التي يجب ,ان تتوفر في الكلام لكي يكون بليغا، وأولها رشاقة اللفظ وعذوبته، مع اليسر والسهولة وهو خاص باللفظ، وثانيها خاص بالمعنى وهو اعتماد المعنى الظاهر القريب الواضح والعزوف عن الغموض والإضمار، وثالثها خاص بأحوال المقام وهو توجيهه للكلام، فيكون بكلام الخاصة إن كان المقصد الخاصة، ويكون بكلام العامة إن كان المقصد العامة¹. فالسياق لديه يتمحور حول اللفظ من جهة والمعنى من جهة أخرى مع حسن الصياغة والتركيب بالإضافة إلى مراعاة البيئة الخارجية والظروف المحيطة بالمتكلم ومن هذه العناصر تأسس السياق لدى الجاحظ

ويُضبط المعنى في السياق وإبرازه في بعض المواقف قد لا يقتصر على الدراسة اللغوية وما تقدمه من نتائج فقط، إنما لابد من وجود عناصر أخرى تتمثل في العناصر المقامية أو مكونات المقام، بالإضافة إلى عوامل أخرى كالسياق التاريخي.²

لذلك وجب مراعاة السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي وهذا ما لم يغفل عليه الجاحظ قديما، فالمعنى بذلك لا يعنى بالكلمة المفردة وإنما يهيمه السياقات الواقعة فيها تلك الكلمة، وكون السياق اللغوي مفهوم لا يفي بالغرض للوصول إلى المعنى وإنما يتطلب ذلك تحديد السياقات الخارجية للكلام وجميع الأطراف الفاعلة في الحدث الكلامي. ليتبين بذلك أنه "لم يبد اللغويون و الدّالّيون العرب القدامى

1 - صورية جغبوب، أصول ودلالات السياق المقامي في التراث العربي، مجلة كلية الآداب واللغات، بسكرة، الجزائر، ديسمبر 2014، العدد 16، ص 21.362

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 3

اهتمامهم بالدلالات المركزية والسياقية فقط، بل اهتموا بكل ما يحيط بهذه الأخيرة من ألوان وظلال ومعان وحواف؛ مثل تلك الشحنات العاطفية التي يحملها الكلام المبطن بالأحاسيس والمشاعر المعبرة والمواقف الشخصية. كما اهتموا أيضا بالحمولة الفكرية التي تنطبع بها جملة أو نص ما، بما في ذلك الخلفية التاريخية للعلامة المفردة داخل التركيب، وآفاقها الدلالية ومجالات استعمالاتها الشرعية والوضعية وغيرها.¹ حيث ينطوي تحت لواء السياق اللغوي كل من الجانب العاطفي أولا والجانب الذهني أو الفكري ثانيا وكل ما يحيط بالكلمة من بيئة اجتماعية وثقافية تؤثر في المعنى فإلغاء السياق الخارجي يؤدي لا محالة إلى خلل في المعنى وعدم فهمه.

وتأسيساً على ما سلف يكون تحرك الجاحظ لضبط خصائص الصياغة الجميلة المخرجة للقول وفق معايير البلاغة شاملاً، يطول اللفظة في مستواها الإفرادي ثم في علائقها بالمعنى، إلى غاية فهم لحمة الوحدات في السياق الواحد في ما أسماه بالنظم أو حسن التأليف والنسج.² ويُرجع الجاحظ الأولوية للسياق في فهم المعنى من خلال مراعاة الجانب اللغوي وغير اللغوي وإن لم يصرح الجاحظ بلفظ السياق وإنما أشار إلى التركيب والصياغة ودوره في فهم المعنى.

وهكذا فدراسة الجاحظ للمعنى لم تخرج عن إطار السياق الذي دلّ عليه بالصياغة المحكمة لتوالي الألفاظ الدالة واشتراكها في التركيب ليتضح بذلك المعنى وبدل من القول بالسياق ذكر البلاغيون وفي مقدمتهم الجاحظ مصطلح المقام.

1 - قادة عقاق، في السيميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، ص 7

2 - ينظر: الأخضر جمعي، اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، 2001، ص43.

ثانيا: السياق لدى ابن جني (ت392هـ):

لقد درس ابن جني المعنى في إطار لغوي بحث وهو ما تجلّى في دراسته لتراكيب وصيغ الكلام من خلال الفعل أو اللفظ والذي لم يفاضله عن المعنى وإنما جعلهما طرفان متكاملان، ونظرته هذه للمعنى لم تقف عند هذا الحدّ وإنما أشار من خلال بحثه الدلالي إلى جانب آخر وهو موقع الكلمة في الجملة أو ما يعرف بالسياق، فعالم لغوي مثل ابن جني لا يقنع بالعلاقات الدلالية بين المفردات في التركيب اللغوي بإسناد الصفات والأفعال ووضع الكلمات كما الفت في المتعارف اللغوي للغة ما، بل أنه ينفذ إلى سمات خاصة يراها هو و يتطلبها السياق، فيخرج باللغة من العالم الوضعي إلى العالم السياقي فيأتي بأساليب وصيغ وأوضاع جديدة وتتطلب معرفة هذه الأوضاع معرفة دقيقة بالدلالات الخاصة بالتراكيب وارتباطها بغيرها من العناصر الأخرى.¹ فدراسة ابن جني للسياق لم تكن بمنأى عن البحث في المعنى والذي أكد عليه ابن جني بأنه لا يتضح بدقة إلا من خلال سياق الكلام حيث رأى أن الكلمة المفردة واسعة المعنى ما يحدّد دلالتها وقوعها في سياق معين.

لقد توصل الباحثون العرب القدامى إلى فكرة السياق في وقت مبكر، وهو ما تجلّى في دراسات العرب، فنجد أن من اللغويين الذين تبلورت عندهم فكرة السياق بشكل واضح (ابن جني ت392هـ) ولعل إشارته إلى الحال المشاهدة أبرز دليل على اهتمامه بالسياق، وقد أشار إلى الحال المشاهدة وعدّها دليلا على حذف الفعل لأن معنى الكلام لا يتأتى فصله ب أي حال من الأحوال عن السياق الذي يعرض فيه، فمنه قولهم لمن سدّد سهماً ثم أرسله نحو الغرض فسمعت صوتاً، فقلت: القرطاس والله، أي

¹ -عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 134

أصاب القرطاس والفعل هنا قد حذفته العرب وجعلت الحال المشاهدة دالة عليه ونائبة عنه.¹ وكلام ابن جني عن الحال المشاهدة فيه إشارة إلى السياق غير اللغوي من خلال الظروف الخارجية المحيطة بالكلام. والبيئة الخارجية المحيطة بالكلام هو ما اصطلحت عليه النظرية السياقية الحديثة بالسياق غير اللغوي. وقد خرج عبد الكريم مجاهد بنتيجة في بحث له عن ابن جني، تتعلق بسياق الحال هي «أن الأصالة في سياق الحال إنما هي لابن جني من اللغويين العرب وليست للغوي الانجليزي فيرث»، وذلك لأن فيرث (Firth) يعتبر رائد المدرسة الاجتماعية أو مدرسة سياق الحال (Context situation) في علم اللغة الحديث.² إذ استعمل ابن جني سياق الحال قديما والذي توصلت إليه النظرية السياقية حديثا، والقول بأن ابن جني قد بحث في سياق الكلام يظهر من خلال بحثه في تراكيب الكلام فقد تبين أن ابن جني تناول دلالة السياق من خلال:

تناوله التركيب الكلي للكلام.

وضع الكلمة في التركيب.

الحال المشاهدة.

المعتقدات الدينية.³

فقد تناول ابن جني التركيب الكلي في الكلام وكذا وضع الكلمة في اللغة وهو ما يندرج تحت السياق اللغوي والذي " تراعى فيه القيمة الدلالية المستوحاة من عناصر لغوية، فالكلمة يتحدّد معناها من خلال

1 - عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 1.

2 - ينظر: أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1993، ص86

3 - ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 130 .

علاقتها مع الكلمات الأخرى في النظم، وهذا لا يشتمل على الجملة وحدها بل ينتظم الفقرة أو الصفحة أو الفصل أو الباب أو الكتاب كله".¹ فأشار ابن جني إلى الدلالة السياقية من خلال تركيب الكلام ومجاورة كلمة لأخرى وكذا من خلال التقديم والتأخير وجل القضايا النحوية التي من خلالها يتحدّد المعنى والتي بذلك لا تخرج عن إطار السياق والتركيب.

كما أبرزت مقولات ابن جني الدلالة السياقية تظهر من خلال تناوله قضية اللفظ والمعنى الذي يتضح من خلالها أن ابن جني تناول السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي من خلال إضفائه بعدا جديدا للعلاقة بين اللفظ والمعنى. فقد خالف فيه السابقين جميعا لأنه وازن بين اللفظ والمعنى وجعلهما صنوين مترابطين لا يمكن الفصل بينهما.² فهذا جانب آخر يبيّن أن ابن جني درس المعنى في إطار السياق حيث تحدث عن المعنى وأقر بقيمته وتحدث عن المعنى وأشاد بدوره في تبيان المعنى فقد قال بتكامل الطرفين.

إذ نجد "من مقولات ابن جني الدلالة السياقية وضع الحرف في التركيب ،اي زيادته وحذفه يتم لغرض يقتضيه السياق أو المقام".³

فيراعي جانب مهم في اللغة وهو المقام أو الموقف كما يسمى في الدراسات الحديثة، فإذا كان العالم اللغوي فيرث يرى في نظريته الدلالة أن المعنى هو المحصلة النهائية لتحليل الحدث اللغوي تدريجيا على مستويات اللغة كافة، الاجتماعية والصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في قوله "ولمعرفة المعنى يمكن أن نتقبل الحدث اللغوي بشكل كامل، وبعد ذلك نختبره على مستويات مختلفة بالترتيب التنازلي مبتدئين

1 - محمد تّجد داود، اللغة وعلم اللغة الحديث، ص 1

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 139

3 - عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 137 .

بالسياق الاجتماعي، وتقدم خلال النحو والمفردات إلى الأصوات ووظائفها فإن ابن جني سبقه إلى هذه الرؤية إلا أنه لم يطورها على شكل نظرية بل كانت آراء وأفكارا مطروقة في ثنايا مؤلفاته. فابن جني يرسى لنا قواعد أساسية في فهم الدلالة فهو لا يركز على الجانب اللغوي للدلالة بل يقرنها بسياق حالها، ويرجح الحال على الجانب اللغوي.¹

فسبق ابن جني الدراسات الحديثة في بحثه عن السياق من خلال الدرس الدلالي لديه وبالتالي جاءت دراسته للسياق متفرقة في مصنفاته. فقد ناقش غالبية الآراء والنظريات التي ناقشها اللغويون المحدثون في كتابه «الخصائص» وبخاصة في الاشتقاق وأصل اللغة والعلاقة بين اللفظ والمعنى وصلته ذلك بأصل اللغة.² فكان السياق لدى ابن جني خاصية مهمة في تبيان المعنى، كما أكد على أن اللفظة المفردة واسعة الدلالات لا بد من تجاور ألفاظ أخرى في التركيب حتى يتبين معناها.

ثالثا: السياق لدى ابن سينا (ت467هـ):

أما فيما يخص الفلاسفة المسلمين فنجد ابن سينا لم يهتم لا باللفظ المفرد ولا بالمعنى على حساب اللفظ وإنما جعل الأولوية في فهم دلالة الكلام في تلاحم اللفظ والمعنى في التركيب حيث "يكتفي في إطلاق المعنى على الصورة الذهنية بمجرد صلاحيتها لأن بقصد باللفظ سواء لها أو لا".³

فالمعنى بذلك هو الصورة الذهنية، فقد تميز ابن سينا في دراسته للمعنى حيث اهتم بالبعد النفسي والذهني اللذين يصاحبان العملية الدلالية.¹ يشير ابن سينا بهذا البعد النفسي والذهني إلى السياق العاطفي كما اصطُح عليه حديثا.

¹ - عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 137 .

² - أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، ص 85.

³ - عوادي كاظم مشكور، البحث الدلالي عند ابن سينا، مؤسسة البلاغ، د ط، مصر، 2003، ص 25.

وهذا السياق العاطفي "هو الذي يحدّد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية ودلالاتها العاطفية، ويتضح هذا - كما يقول أولمان - في مجموعة معينة من الكلمات نحو (حرية وعدل) إذ تشحن عادة بمضمونات عاطفية. ويضرب أولمان مثالا آخر هو كلمة (جدار) التي ترد على لسان المتكلم محملة بما تفيض به نفسه من الانفعالات، فيرى الجدار حلوا تارة ولثيما تارة أخرى. إن هذا - كما هو واضح - يختلف عن دلالة (الجدار) الموضوعية المتعارفة".² فللبعد العاطفي النفسي دور هام في تحديد المعنى، ذلك أن الكلمة تتغير مدلولاتها بين كونها تحمل معنا عاطفيا أو موضوعيا.

وابن سينا في بحثه عن المعنى أشار إلى أهمية تداخل طرفين هامين هما اللفظ و المعنى "لذلك نجد ابن سينا في حصره للعلاقة القائمة نظريا بين اللفظ والمعنى لا يقيدها فيقول في ذلك: "و لأن بين اللفظ والمعنى علاقة ما".³ فيشير بذلك إلى وجود علاقة قائمة بين اللفظ والمعنى وهو ما توصل إليه الباحثون حديثا غير أنه لم يحدّد طبيعة هاته العلاقة، فاللفظ بذلك يكون إفصاحا لما في النفس من أفكار ومعاني. أن لقد بحث هذا الفيلسوف في الدرس الدلالي وتحدّد بذلك أن "أهمية مباحث ابن سينا في الدلالة لا تكمن في عمق تصوّرها لجوهر الفعل الدلالي فحسب وإنما في بعدها الشمولي للسان البشري، وهو هدف يعكف عليه علماء الدلالة المحدثين".⁴ حيث كانت غاية ابن سينا في بحثه، ابعدها من فهم الدلالة بل بحث في الدلالة هو وسيلة لفهم اللغة عامة.

¹ - عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، ط 1، دمشق، 2001، ص 138

² - احمد مجّد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط 3، دمشق، 2008، ص 356 .

³ - عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 143.

⁴ - نفس المرجع ، ص 144.

فبالإضافة إلى العامل النفسي عند ابن سينا هناك جانب آخر وهو المجتمع ,او المحيط الخارجي حيث " يشير ابن سينا في رصده الأليات الفعل الدلالي إلى تلك القدرة التي أوتيها الإنسان المتكلم، بحيث مكنته من نقل المفاهيم التي التقطها من العالم الخارجي إلى نفسه وقد انتقل من الحس إلى التجريد".¹ إذ نلاحظ أن ابن سينا في بحثه عن المعنى قد ركز على عنصر مهم وهو الجانب النفسي والذهني في فهم المعنى، كما قال بدور المجتمع والمحيط في تبيان وفهم المعنى وهو ما يتقاطع فيه مع اصحاب النظرية السياقية الحديثة التي اعتبرت الجانب الاجتماعي عنصرا ضروريا في الوصول إلى المعنى.

المقارنة بين النظم في التراث العربي و النسق عند الغرب :

النسق الغربي والنظم العربي يمثلان نهجين مختلفين لفهم اللغة والأدب. النسق الغربي يركز على البنية، بينما النظم العربي يركز على العلاقة بين الكلمات و الجمل. كل من هذه النهجين يوفر طريقة فريدة لفهم النصوص والأدب، ويمكن أن يستفاد من كليهما في فهم اللغة والأدب بشكل أفضل

أوجه التشابه:

الانطلاق من دراسة اللغة بعدها ظاهرة اجتماعية متكاملة وشاملة (نسق متكامل)

بيان العناصر الداخلية للغة والخارجية (سياق الحال)

العلامة اللغوية تكتسي قيمتها من خلال مجاورتها مع العلامات اللغوية الأخرى

لا تقوم البنية دون نظام .

كما نجد من جانب آخر

1 - عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص145.

أوجه الاختلاف:

البنوية اعتمدت المنهج الوصفي على عكس النحو العربي نجد أنه اعتمد على المعيارية .

نجد كذلك أن الدراسيين العرب والغرب لم تكن لهم نظرة واحدة للغة وبالتالي أدى هذا إلى اختلاف المنهج المستخدم في بحثهم، فمفهوم العرب للغة نجده أوسع وأشمل من مفهوم اللغة عند الغرب وهذا كله راجع إلى الظروف العلمية و الحضارية والفكرية التي تحيط بكل مفهوم، ولا يمكن أن تعالج اللغة بعيدا عن الظروف الخارجية

الثقافة العربية لم تنطلق من التجزئة بل انطلقت من الكليات، في حين اللسانيات نظرة حيث فصل اللغة عن الفلسفة في أول ما فعل وكان ذلك ظرفيا بعودة البحوث اللغوية إلى حظيرة الفلسفة التحليلية بعد نحو أربعين سنة تقريبا¹.

و يمكننا أن نلخص ذلك في الجول التالي :

الجانب	النسق الغربي	النظم العربي
التركيز	البنية اللغوية والنصوص الأدبية	العلاقة بين الكلمات والجمل
طريقة النظر	تحليل لغوي ونصوصي	نظرية نقدية
الهدف	فهم اللغة والنصوص	فهم المعنى والإيحاء
العلاقة بالنص	تحليل النص من حيث عناصره	تحليل النص من حيث تأثيره

1 - مذكرة ماستر ، تخصص : علوم اللسان ، الموضوع : النسق و دوره في اللسانيات العامة " مدونة دي سوسير نموذجاً" للطالبين ساحلي كهينة ، زكريني ليندة ، جامعة بجاية ، الجزائر

نظرية النظم من المنظور النسقي :

" نظرية النظم " عند الجرجاني:

صرّح الجرجاني في أول كتابه "دلائل الإعجاز" بهدفه من تأليفه، وهو أن يمكّن القارئ من وضع يده على الخصائص والمزايا التي تعرض في الكلام، حتى يفضل بعضه بعضاً، ثم يتعاضد ذلك الفضل حتى يبلغ حدّ الإعجاز الذي تنقطع عنده أعناق البلغاء، وتنحسر دونه مطاعمهم، فيقرّون جميعاً بالعجز. يقول:

"ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى "الفصاحة" و"البلاغة" و"البيان" و"البراعة"، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها. ووجدت المعوّل على أن ههنا نظاماً وترتيباً، وتأليفاً وتركيباً، وصياغةً وتصويراً، ونسجاً وتخييراً، وأنّ سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجازٌ فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها، وأنه كما يفضل هناك النظم النظم، والتأليف التأليف، والنسج النسج، والصياغة الصياغة، ثم يعظم الفضل، وتكثر المزية، حتى يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة، وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد، كذلك يفضل بعض الكلام بعضاً، ويتقدّم منه الشيء الشيء، ثم يزداد فضله ذلك ويترقّ منزلةً فوق منزلة، ويعلو مرقباً بعد مرقب، ويُسْتأنف له غاية

بعد غايّة، حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماع، وتَحَسَّرَ الظنون، وتسقط القوى، وتستوي الأقدام في العجز".¹

ولا يكفي -عند الجرجاني- في بيان هذه الخصائص والمزايا العبارات المجملة التي لا تشفي الغلّة، بل لا بدّ من تحديدها تحديداً دقيقاً، ووصفها وصفاً مفصّلاً، وإيراد أمثلة كافية لها، كما هي الحال في كافّة أنواع الصناعات. وفي هذا يقول: "ولا يكفي أن تقولوا: إنّهُ خصوصية في كيفية النظم، و طريقة مخصوصة في نسق الكلام بعضها على بعض، حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها، وتذكروا لها أمثلة، وتقولوا: "مثل كيت وكيت"، كما يذكر لك من تستوصفه عمل الديباج المنقّش ما تعلم به وجه دقة الصنعة، أو يعمله بين يديك، حتى ترى عياناً كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء، وماذا يذهب منها طولاً وماذا يذهب منها عرضاً، ويمّ يبدأ ويمّ يئْتِي ويمّ يُثَلث، وتُبصر من الحساب الدقيق ومن عجيب تصرف اليد، ما تعلم معه مكان الحِذْق وموضع الأستاذية.

ولو كان قول القائل لك في تفسير الفصاحة: "إنّها خصوصية في نظم الكلم وضم بعضها إلى بعض على طريق مخصوصة، أو على وجوه تظهر بها الفائدة"، أو ما أشبه ذلك من القول المجمل، كافياً في معرفتها، ومغنياً في العلم بها، لكفى مثله في معرفة الصناعات كلها. فكان يكفي في معرفة نسج الديباج الكثير التصاوير أن تعلم أنه ترتيب للغزل على وجه مخصوص، وضم لطافات الإبريسم بعضها إلى بعض على طرق شتى. وذلك ما لا يقوله عاقل".²

¹ - الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ): دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص34-35.

² - الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ): دلائل الإعجاز، ص 36 .

وإذا تمكّن المتعلّم من ذلك أصبح قادراً على التمييز في الكلام بين الصواب والخطأ، والمفاضلة بين الإساءة والإحسان، بل بين الإحسان والإحسان. يقول الجرجاني: "وجملة الأمر أنك لن تعلم في شيء من الصناعات علماً تُمرّ فيه وتُحلي، حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب، ويُفصّل بين الإساءة والإحسان، بل حتى تُفاضل بين الإحسان والإحسان، وتعرف طبقات المحسنين و إذا كان هذا هكذا، علمت أنه لا يكفي في علم "الفصاحة" أن تنصب لها قياساً ما، وأن تصفها وصفاً مجملاً، وتقول فيها قولاً مرسلاً، بل لا تكون من معرفتها في شيء، حتى تفصّل القول وتُحصّل، و تضع اليد على الخصائص التي تُعرض في نظم الكلم وتعدّها واحدة واحدة، وتُسميها شيئاً شيئاً، وتكون معرفتك معرفة الصنّع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الإبريسم الذي في الديباج، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطّع، وكل آجزة من الأجر الذي في البناء البديع".¹

وفيما يخصّ موطن تلك الخصائص، فإنّ الجرجاني لا يقبل بأن يكون هو الألفاظ المفردة، لأنّه لا مجال للمفاضلة بينها؛ فهي مستوية في الدلالة على المعاني التي وُضعت لها؛ كما أنّ الكلمة قد تقع من النفس موقعاً عجبياً رائعاً في موضع ثمّ ينعكس ذلك في موضع آخر. وإنّما مدار الأمر على مكان الكلمة في النظم والتأليف. يقول في الاستدلال على ذلك: "وهل يقع في وهم وإنّ جهّد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن يُنظر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخفّ، وامتزاجها أحسن، ومما يكدّ اللسان أبعد؟ وهل تجد أحداً يقول: "هذه اللفظة فصيحة" إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: "اللفظة متمكنة و مقبولة" و في خلافه : قلقة، ونابية، ومستكرهة"، إلا وغرضهم أن يعيّنوا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة

¹ - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص 37 .

معناها، وبالقلق و النُّبُو عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تَلَقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفَقاً للتالية في مؤدّها؟ وهل تشكّ إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾¹، فتجلّى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع - أنك لم تجد ما وجدت من المزيّة الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأنّ لم يعرض لها الحسنُ والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقرها إلى آخرها، وأنّ الفضل تتأخّر ما بينها وحصل من مجموعها؟ إن شككت، فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدّت من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في مكانها من الآية؟ قل: "ابلعي"، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أنّ مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بـ "يا" دون "أي"، نحو "يا أيتها الأرض"، ثم إضافة "الماء" إلى "الكاف"، دون أن يقال: "ابلعي الماء"، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصّها، ثم أن قيل: "وغيض الماء"، فجاء الفعل على صيغة "فعل" الدالة على أنه لم يَغِضْ إلا بأمر أمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: "وقُضِيَ الأمر"، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو: "استوت على الجودي"، ثم إضمار "السفينة" قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة "بقيل" في الفاتحة؟ أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتُحصرُك عند تصوورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها - تعلّقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالي في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتّساق العجيب؟ فقد اتضح إذن اتّصاحاً لا يدع للشك مجالاً، أنّ الألفاظ لا

¹ - سورة هود ، الآية '44' .

تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تَعْلُق له بصريح اللفظ.

وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر، كلفظ "الأخدع" في بيت الحماسة:

تَلَقْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتاً وَأَخْدَعَا¹

وبيت البحتري:

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغَنَى وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي²

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يَا دَهْرَ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعِيكَ، فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ حُرْقُكِ³

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك من الرّوح والخفة ومن الإيناس والبهجة⁴.

وليس المقصود بنظم الألفاظ مجرد تتابعها في النطق كما هي الحال في نظم الحروف، إذن لاستوى الناس كلّهم في العلم بحسن النظم ورداءته؛ لأنهم جميعاً يُحَسِّنُونَ بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً. ولكن المقصود به تناسق دلالاتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل. وإذن فإن الاعتبار في

¹ - البيت للصّمة بن عبد الله القشيري، في شرح حماسة أبي تمام للتبريزي، ج3، ص114. نقلاً عن محقق دلائل الإعجاز، ص47، حاشية 1

² - البيت في ديوان البحتري. انظر الحاشية 2 للمحقق، ص47

³ - نفس المرجع السابق

⁴ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص44-47

النظم هو للمعاني وليس للألفاظ؛ بل إنّ الألفاظ في ذلك تبع للمعاني، فهي ترتّب تلقائياً بحسب الترتيب الذي تنشأ عليه المعاني في النفس، ولا يحتاج المتكلم أن يفكر مرتين: مرة في ترتيب المعاني، وأخرى في ترتيب الألفاظ، وإمّا ينحصر تفكيره في المعنى؛ فإذا ترتبت المعاني جاءت الألفاظ مرتبة على نسقها من غير استئناف نظر جديد، "فلا يُتصوّر أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوحى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وأنتك تتوحى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعته الألفاظ وفَقَوْتُ بها آثارها، وأنتك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتاج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدّم للمعاني، وتابعة لها، ولا حقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"¹.

أمّا عن ترتيب المعاني في النفس، والضوابط التي يخضع لها، فيرى الجرجاني أنّ مرجع الأمر في ذلك إلى قوانين النحو وأصوله؛ "ذلك أنّنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه: فينظر في (الخبر) إلى الوجوه التي تراها في قولك: "زيد منطلق" و "زيد ينطلق" و "ينطلق زيد" و "منطلق زيد" و "زيد المنطلق" و "المنطلق زيد" و "زيد هو المنطلق" و "زيد هو منطلق". وفي "الشرط و الجزاء" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "إن تخرج أخرج" و "إن خرجت خرجت" و "إن تخرج فأنا خارج" و "أنا خارج إن خرجت" و "أنا إن خرجت خارج". وفي "الحال" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "جاءني زيد مسرعاً"، و"جاءني يُسرّع"، و "جاءني وهو مسرعٌ أو وهو يسرع" و "جاءني قد أسرع" و "جاءني وقد أسرع". فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به من حيث ينبغي له. وينظر في "الحروف" التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـ "ما" في نفي الحال، وبـ "لا" إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ "إن" فيما يترجح بين أن يكون وأن لا

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص53-54، وانظر بقية المعاني التي اختصرتها الفقرة في الصفحات 49-56.

يكون، وبـ "إذا" فيما علم أنه كائن. وينظر في "الجملة" التي تُسَرَّد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حَقُّه الوصلُ موضعَ "الواو" من موضع "الفاء"، وموضع "الفاء" من موضع "ثم"، وموضع "أو" من موضع "أم"، وموضع "لكن" من موضع "بل". ويتصرف في التعريف والتذكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيُصيب بكل من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له. هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأ، إلى "النظم"، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووُضِعَ في حَقِّه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأُزيل عن موضعه، واستُعمل في غير ما ينبغي له. فلا ترى كلاماً قد وُصف بصحة نظم أو فساد، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه".¹

ولا يقصر الجرجاني في سوق الأمثلة الدالة على صحة مذهبه في أنّ حسن النظم إنّما يأتي من جودة التصرف في قواعد النحو، وأنّ رداءته إنّما تأتي من سوء التصرف فيها.²

من أجل ذلك كان المؤلف قد عقد في أول كتابه مبحثاً دافع فيه عن علم النحو عند مَنْ يُغَضّ منه ويشكّك في جدواه وحثّ على تعلّمه والتقوي فيه؛ لأنه المرتكز الذي ستقوم عليه نظريته في بقية الكتاب. يقول في أول ذلك المبحث: "وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له، وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم³، وأشبه بأن يكون صدّاً عن كتاب الله، وعن معرفة

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 81-83

² - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 83-86

³ - أي زهدهم في رواية الشعر وحفظه، وذمهم الاشتغال بعلمه، انظر ص 11 من المصدر نفسه.

معانيه ؛ ذاك لأنهم لا يجدون بداً من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذا كان قد عُلِمَ أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلامٍ ورجحانه حتى يُعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يُرجع إليه، لا ينكر ذلك إلا من ينكر حسّه، وإلا من غلط في الحقائق نفسه. وإذا كان الأمر كذلك، فليت شعري ما عُذر من تهاون به وزهد فيه، ولم يرَ أن يستقيه من مصبّه، ويأخذه من معدنه، ورضي لنفسه بالنقص والكمال لها مُعرض، وآثر العَبِينَة وهو يجد إلى الريح سبيلاً¹.

ولما كان النظم - عند الجرجاني - لا يعدو أن يكون تمثيلاً للمعاني النحويّة، فإنّه من البديهي أن تكون الجملة هي محور عمل الناظم؛ لأنّها هي الوحدة الكلاميّة التي تظهر فيها العلاقات النحويّة الإسناديّة، كما هو الحال بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل والمفعول . . . الخ، وما قد يعثرها من تقديم وتأخير، وحذف، وإضمار وإظهار . . . الخ. ولكنّ النطاق قد يتّسع أحياناً ليضمّ جملتين أو أكثر، عندما "تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثانٍ منها بأوّل"²، ومن ذلك المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء معاً؛ كقول البحترى³:

إذا ما نهي الناهي فلجّ بي الهوى أصاغت إلى الواشي فلجّ بها الهجرُ

ومنه ما قد يضمّ عدّة أبيات؛ كقول بعضهم⁴:

لو أنّ ما أنتم فيه يدوم لكم ظننتُ ما أنا فيه دائماً أبداً

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 28

² - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 93

³ - ديوان البحترى، انظر الحاشية 2 لحقق دلائل الإعجاز، ص 93

⁴ - لم يقف المحقق على صاحب هذه الأبيات، انظر تعليقه عليها ص94، حاشية 5

ما سرّ من حادثٍ أو ساء مطّرداً

لكن رأيت الليالي غير تاركةٍ

سنستجدّ خلاف الحالين غداً

فقد سكنتُ إلى أيّ وأنكُم

وموضع المزيّة في هذه الأبيات - كما بيّنه الجرجاني - هو في قوله : "سنستجدّ خلاف الحالين غداً"؛ لأنّ فيه جمعاً لطيفاً لما قسمه قبل، بالإضافة إلى حسن بنائه، ولطف توصّله إليه.

ومذهب الجرجاني إلى أنّ المعاني النحويّة هي الأساس الذي تقوم عليه البلاغة، والمعيّار الذي به يُفاضل بين قول وقول، لا يعني أنّ الكلام متى استقام على قواعد النحو وسلم من الخطأ فقد صار له فضل شرفٍ ومزيّة؛ فإنّ البحث في تقويم اللسان وعصمته من الزلل في الإعراب ليس ها هنا مجاله، وإنّما مجاله كتب النحو. أمّا في البلاغة فإنّ ما يُعتدّ به هو التصرّف في المعاني النحوية تصرّفاً فنياً إبداعياً يُسفر عن "أمر تدرك بالفكر اللطيفة، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم".¹ وكذلك تجنّب الخطأ فليس هو من البلاغة حتّى "يُحتاج في التحفّظ منه إلى لطفٍ نظر، وفضلٍ رويّة، وقوّة ذهن، وشدّة تيقّظ"²، وهذا هو المعيار المعتمد عليه في الموازنة بين كلام وآخر.

وهكذا، فإنّ عبد القاهر، وإن كان يُقيم نظريّته في النظم على أساس من علم النحو، فليس هو نحويّاً، ولا يعنيه أن يدرس المباحث النحويّة من تقديم وتأخير، وإظهار وإضمار، وحذف. . . من حيث هي كذلك؛ وإنّما من حيث إمكانيّة توظيفها من أجل صناعة عبارات بليغة. فمثل قول الجاحظ مثلاً: "جنّبك الله الشُّبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً، وبين الصدق سبباً، وحبّب إليك الثبّت، وزيّن في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحق، وأودع صدرك

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص98

² - المصدر السابق نفسه

بَرْدُ اليقين . . . - ليس في نظمه وتأليفه أيّ فضل، وإن سلم من الخطأ، وجرى على قواعد النحو؛ لأنّه ليس فيه دقّة صناعة، ولا سبيل فيه إلى التخيير¹.

وكما أنّ النكت البلاغيّة قد تلتبس عند طائفة من الدارسين بمباحث النحو لا تكائها عليها، فإنّها قد تلتبس عند طائفة أخرى بالمحسنات البديعيّة والاستخدامات المجازيّة للألفاظ، فيُظنّ أنّ المزيّة للألفاظ حين تضمّنت جناساً أو طباقاً . . . أو حين أحييت عن معانيها المعجميّة إلى معانٍ جديدة اقتضتها العلاقات والقرائن في داخل العبارة. مع أنّ الذي أوجب المزيّة ليس هو ذلك، وإنّما مكانها في تأليف الجملة ونظمها. ومثاله ما في قوله تعالى: ﴿ وَاشْتَعلَ الرَّأسُ شَيْباً ﴾ [مريم: 4]؛ فإنّ الناس دأبوا على نسبة الشرف فيه إلى الاستعارة وإفرادها بالمزيّة والفضل. وليس الأمر كذلك؛ لأنّنا لو قلنا العبارة فقلنا (واشتعل شيب الرأس) لذهب ما فيها من روعة وفخامة، مع أنّ الاستعارة لم تزل قائمة. فلم يبق إلا أن يكون مكنن الحسن في العبارة هو إسناد فعل الاشتعال إلى الرأس، والمجيء بالشيب الذي له الفعل في المعنى منصوباً بعده. وهذا المسلك في نظم العبارة يشحنها بدلالات جديدة لم تكن ممكنة لو أسند الاشتعال إلى الشيب مباشرة؛ وذلك أنّ إسناد الاشتعال إلى الرأس يفيد -بالإضافة إلى لمعان الشيب في الرأس- الشمول والشيوع. ومّا هو من جنس النظم في هذه العبارة تعريف الرأس بالألف واللام وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة، ولو صُرح بالإضافة فقليل: (واشتعل رأسي) لذهب كثير من حسناتها².

و يتّسع نطاق النظم -أيضاً- ليخرج عن حدّ الجملة الواحدة إلى جملتين أو أكثر في باب الوصل والفصل، وما يتضمّن من عطف بعض الجمل على بعض أو ترك العطف والمجيء بها مستأنفةً.

¹ - المصدر نفسه، ص 97-98، وقابل النصّ الذي اقتبسه من الجاحظ بفاتحة كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج 1، ص 3

² - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 99-101

ومن الملائم هنا أن نتذكر أنّ حروف العطف تفيد إشراك ما بعدها لما قبلها في الحكم الإعرابي، بالإضافة إلى معانٍ أخرى: كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في (ثم)، والتخيير في (أو) . وبسبب هذا المعنى الإضافي الذي يفيد كلٌّ من هذه الحروف فإنّه لا يعرض فيها إشكال في لزوم العطف أو تركه؛ لأننا متى احتجنا إلى الدلالة على أيّ من تلك المعاني جئنا بالحرف المختصّ به.

ولكنّ الإشكال يعرض في الواو؛ لأنها لا تفيد - بالإضافة إلى الإشراك في الحكم الإعرابي - أيّ معنى . وهنا يصبح لا بدّ من اللجوء إلى صناعة النظم واستقراء لطائفها في كلام العرب من شعر وغيره؛ لمعرفة متى يحسن العطف بالواو، ومتى يحسن القطع والاستئناف، ومتى تكون المزيّة لهذا، ومتى تكون لذاك. فالوصل والفصل بابّ من أبواب النحو، ولكنّ التصرف فيه للإتيان بمعنى بارع، والسلوك به مسالك دقيقة خفيّة هو من شأن النظم.

يخبرنا الجرجاني أنّ الوصل يحسن بين الجملتين إذا كان ثمّ علاقة بين المحدث عنه في إحداها والمحدث عنه في الأخرى، وكان الخبر عن الثاني ممّا له صلة بالخبر عن الأوّل؛ كأن يكون شبيهاً له أو نظيراً أو نقيضاً، كما يُقال: زيدٌ كاتبٌ، وأخوه شاعر . وتزداد الحاجة إلى العطف إذا كان المتحدث عنه في الجملتين واحداً، كقولنا: عمرو يضرب وينفع، ويحسن ويسيء.¹

بينما يحسن الفصل في كلّ جملة كان حالها مع ما قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكّد، فتتصل بها من ذات نفسها وتستغني عن حرف العطف ؛ كما في قوله تعالى: "إنّ الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم؛ لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 224-226

غشاوة، ولهم عذابٌ عظيم"؛ فإنّ قوله "لا يؤمنون" تأكيد لقوله "سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم"¹،
ومّا حقّه الفصل أيضاً ما يجيء من الجمل على معنى جواب لسؤال مقدّر؛ كما في قول الشاعر :

قال لي: كيف أنت؟ قلت عليلٌ سهّرُ دائمٌ، وحرْنٌ طويلٌ²

فقدّر الشاعر أنّ الذي سأله عن حاله، أتبع سؤاله بسؤال آخر عن علّته، فأجابه: سهّرُ دائمٌ وحرْنٌ طويلٌ³.

ومن هذا الفنّ كلّ ما يرد في القرآن من لفظ (قال) مفصّلاً ممّا قبله، أنّه على تقدير سؤال محذوف.⁴

ومن فنون النظم الدقيقة التي بينّها الجرجاني في هذا الباب أنّ عطف الجملة لا يكون دائماً على ما قبلها مباشرة؛ ولكنّها قد تُعطف على جملة يفصلها عنها جملةٌ أو أكثر . كما في قول المتنبي:

تولّوا بغتةً فكأنّ بيناً تهبّني ففاجأني اغتيالاً

فكان مسير عيسهم ذميلاً وسير الدمع إثرهم انهمالاً⁵

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 227-228

² - علق عليه المحقق بقوله: "مشهور غير منسوب"، في الحاشية 1، ص 238

³ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 238

⁴ - المرجع نفسه، ص 240

⁵ - ديوان المتنبي. أنظر الحاشية 1 من حواشي محقق دلائل الإعجاز، ص 244

فيُتّضح بعد ترديد النظر أنّ جملة (كان مسير عيسهم ذميلاً) ليست معطوفة على جملة (كأنّ بيناً تهينني)؛ لأنّ عطفها يُفسد المعنى؛ إذ يُدخلها في معنى (كأنّ)، ويصبح السير مشكوكاً فيه، وليس هذا مقصود الشاعر، وإنّما يستقيم المعنى إذا عُطفت على (تولّوا بغتة).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ جملة (كان مسير عيسهم ذميلاً) ليست معطوفة على جملة (تولّوا بغتة) وحدها، وإنّما هي معطوفة على البيت السابق كلّ؛ لأنّ (كأنّ بيناً تهينني) مرتبطة بقوله (تولّوا بغتة) ارتباط سببيّة؛ بمعنى أنّ الثانية مسبّب والأولى سبب؛ فكأنه قال (تولّوا بغتة فتوهّم أنّ بيناً تهينني). وكذلك فإنّ قوله (كان مسير عيسهم ذميلاً) لم يُعطف وحده على البيت السابق، ولكنّ العطف تناول البيت الثاني بجملته، مرتبطاً آخره بأوله؛ لأنّ تولّاهم بغتة وما توهّمه الشاعر من بَيْنٍ تهيبه كان مستدعيّاً بكاءه بدمع منهمل، ولم يكن ذكره لذملان العيس إلا ليذكر هملان الدمع.¹

وهكذا، فإنّ العطف كما يكون بسيطاً؛ عندما تُعطف جملة على جملة، فإنّه قد يجيء مركّباً؛ بأنّ تعتمد إلى جملتين أو أكثر فتعطف بعضها على بعض، ثمّ مجموعها على مجموع سابق.²

وهذا -فيما يبدو- أوسع نطاق تبلغه نظريّة النظم عند الجرجاني؛ أعني الخروج من حيّز الجملة الواحدة إلى حيّز مجموعة محدودة من الجمل، وهو نفس الحيّز الذي تعمل فيه قواعد النحو، مع الفارق الذي ألححت إليه من قبل بين وظيفة النحو ووظيفة البلاغة.

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 242-252

² - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 245

كانت هذه إطلالة سريعة وإلمامه متعجّلة بمصطلح البنية، نرجع بعدها إلى نظرية "النظم" عند الجرجاني، لنحكم على مدى اقتراب صاحبنا أو ابتعاده في نظريته عن هذا المصطلح الحديث، مستفيدين في ذلك من آراء مَنْ سبقنا إلى الخوض في هذا الموضوع من النقاد المعاصرين .

رأي النقد الحديث في "نظرية النظم" للجرجاني:

وهنا نجد أنفسنا -في الدراسات النقدية العربية الحديثة- أمام ثلاثة مواقف مختلفة من "نظرية النظم"، هي -في الحقيقة- تعبير أو امتداد لثلاثة مواقف مختلفة من النقد العربيّ جملةً، بل من التراث العربيّ برمّته، أحدها: ينتقص التراث العربيّ، ويغضّ من قدره، ويزدريه، وينكر عليه أن يكون قد قدّم لمسيرة الحضارة الإنسانية ما يمكن أن يُعتدّ به سواء في مجال العلم أو الأدب. والثاني: متحمس حماساً شديداً للتراث، معتزّ به، واثق من عظم مساهماته، وغزارة روافده لنهر الحضارة الإنسانية، والثالث: وسط بين الأوّل والثاني: لا يقلّل من شأن التراث، ولكنّه لا يرى باكتماله أو جواز التوقّف عنده، وإنّما يرى أنّ في التراث الصواب والخطأ، وفيه من المكونات الإيجابية ما يمكن -لو تهياً له من يتعهّده- أن يتطوّر ليضاهي كثيراً من النظريات والفتوح العلميّة المعاصرة، وفيه -في المقابل- ما تجاوزه التاريخ، وأثبت قصوره، وبات من الأفضل والأعون على التقدم -إطراحه والاستغناء عنه.

ولعلنا في حاجة -لإثبات صحّة هذا التقسيم- إلى أن نسوق بعض النماذج -على سبيل التمثيل فحسب- من كتابات طائفة من النقاد والمثقفين العرب المحدثين:

فأمّا الفريق الأوّل فمن خير من يمثّله -في بداية القرن الماضي- ميخائيل نعيمة. الذي يقول في كتابه "الغربال" بلهجة فيها كثير من الاحتقار والسخرية من العقل العربيّ عامّة، حتّى في أوج ازدهاره، وذروة عطائه وإبداعه، مقارناً بينه وبين "العقل الغربيّ" الحديث. وعلى أيّة حال، فلعلّه يكون من الملائم هنا

الإشارة إلى أنّ هذا الفريق الذي يقف من التراث موقفًا هجائيًا، عادة ما يكون ذلك مبنياً على انبهاره بالحاضر الغربي، ورغبته الجارحة في الالتحاق بركبه

- يقول نعيمة: "أسمع أصواتاً تنادي، وأرى أيدياً تمتدّ نحوي، وألسنة تصبّ عليّ التّقم، والكلّ يقول: "وهل نسيت -أو أنت جاهل- أسماء امرئ القيس والنابعة الذيباني وليبد وعلقمة الفحل وعنترة والمهلهل والمتنبّي والهمذاني والأخطل وجريز وابن رشد وابن سينا . . . الخ من الأقدمين، وشوقي وحافظ والمطران وكثير سواهم من المحدثين؟ كلا يا سادتي، أنا لم أنس هؤلاء كلّهم، بل لا أتجاسر أن أزجج سكينه قبور الراقدين منهم، ولا أن أرفع عينيّ الخاطعتين إلى أكاليل الغار وأهله النور فوق رؤوس الباقين في قيد الحياة. إنما أهمس همساً كي لا نثير غضبهم: إنّ غثّهم أكثر من سمينهم. وعلى كلّ، لا أظنّكم ظالين إلى حدّ أن ترفعوا أحداً منهم إلى مصافّ هوميروس و فرجيل ودانتي وشكسبير و ملتون وبيرون و هيكو وزولا وغوته وهينه وتولستوي. أولئك عاشوا وماتوا ليتغلّوا بظباء الفلاة، و لمع المشرفيّات، ووقع سنابك الخيل، وسفك الدماء، ومشى الإبل، وأطلال المنازل، ونار القرى، إلخ.... أمّا الآخرون فقد اختارتم السماء أصفياءها، وأسكنتهم الأولب، ولمست شفاههم بجمرة الحق؛ فكانت عظامهم تتقدّ به، وتلمس القلوب المظلمة فتجعلها آنية جديدة للحق. هؤلاء أجنحة تطير بالإنسانية إلى حيث الجمال والكمال والمحبة. هؤلاء أرواح سماوية تخفر مهاوي الهلاك، وتنادي السائرين إليها: "احترسوا". هؤلاء صوت صارخ في البرية: "أعدوا سبل الحق". هؤلاء معلّمو الإنسانية و قوّادها. دعوهم في أعاليهم؛ فنحن قاصرون عن إدراكهم بأيدي أثقلتها سلاسل القيود، وعيون امتصّت الظلمة ماءها، وعقول لم تتحرّر من أوهام الماضي وأشباهه وغرور المستقبل لتدرك حاضرها".¹

¹ - نعيمة ، ميخائيل: الغريال، ط15، نوفل، بيروت، 1991، ص47-49

واضح أنّ نعيمة لا يكتفي بازدراء التراث العربيّ، بل يمتدّ ازدراءه وسخريته ليطال العقل العربيّ وإنتاجه في ماضيه وحاضره، ولو أردنا أن ندقق في التشخيص لقلنا: إنّ خيبة أمله في الحاضر العربيّ، وشعوره بسببه بكثير من الاعتزاز والدونيّة، هو الذي دفعه إلى احتقار الماضي العربيّ، وسحب تحلّف الحاضر وتردّيه أحواله عليه.

هذه النغمة نفسها نسمعها عند العقاد والمازني في السنوات الأولى من القرن العشرين، وهي نغمة الانبهار بالعقل الغربيّ الحديث وإبداعاته، التي تتحوّل تلقائياً إلى ذمّ للعقل العربيّ وتجاهل لإنجازاته، يقول صاحباً الديوان: "وإنّ المرء ليزهو بآدميته حين يُلقى بنفسه في غمار الآداب الغربيّة، وتجيّش أعماق ضميره بتدافع تياراتها وتعارض مهاجماتها ومتجهاتها وتجاوب أصداؤها وأصواتها: أبواباً للكتابة منوّعة، ومهايع متّسعة، وفنون مبتدعة، ونحلّ ومذاهب، ومدارس ومشارب. والحياة بين هذه الأفكار المشرقة معروضة للنظر في كلّ شيء من شيائها، محسوسة في كلّ خطرة من خطراتها، متكرّرة متضاعفة، شاكة موقنة، جادة ساخرة، ناقمة راضية"¹.

وإن كان العقاد قد عدّل من هذا الموقف في مرحلة متأخّرة، وأصبح أميل إلى الاعتدال الحذر في تعامله مع الثقافة الغربيّة، وخوفه من أن يؤدي التآثر غير الواعي بالغرب إلى الدوبان فيه والحيف على الهوية العربيّة في ذاتها . يقول في كتابه "بين الكتب والناس" (1952): "وقد تبين أنّ الهوية الواقية كانت ألزم للعالم العربي في هذا الدور ممّا كانت في جميع الأدوار الماضية منذ بداية النهضة في العصر الحديث؛

¹ - العقاد، عباس محمود والمازني، إبراهيم عبد القادر: الديوان، ط4، دار الشعب، القاهرة، ص121

فإنّ الدعوات العالميّة خليقة أن تجور على كيان القوميّة وأن تؤوّل بها إلى فناء كفناء المغلوب في الغالب".¹

ويتابع جابر عصفور -وهو من أبرز النقاد العرب الآن، وأغزرهم إنتاجاً- على المنوال نفسه، معلناً عن انبهاره بإنجازات الثقافة الغربيّة. ولكن، وهذا يُسجّل له، دون أن يدفعه ذلك إلى احتقار تراثه العربيّ والغضّ من شأنه. يقول في كتابه "نظريات معاصرة" واصفاً إعجابه بالبنويّة وحماسه لها : "كانت البنويّة مبعوث العناية اللغويّة الذي حمل بشارة العهد الآتي إلى العلوم الإنسانية ومنها النقد الأدبيّ، دلاًّ إيّاها على طريق الهداية المنهجية والجنة الموعودة للدراسات العلمية التي تؤسّس النقد الأدبيّ بوصفه علماً من العلوم الإنسانية المنضبطة. وسواء تحدّثنا عن البنويّة بوصفها حركة اجتماعيّة سياسيّة أو بوصفها نشاطاً أيديولوجيّاً، فإنّها تظلّ مشروعاً منهجيّاً بالدرجة الأولى، من حيث هي دعوة إلى تطبيق النموذج المنهجيّ الذي انبنى عليه علم اللغة عند سوسير".²

وعلى الطرف النقيض تقف طائفة من النقاد و المثقفين أخذوا على عواتقهم الدفاع عن التراث العربيّ، وتسليط الضوء على مساهماته وإنجازاته، في محاولة لدرء الهجمة عنه، ولكنّ هذه المحاولة نفسها كانت سبباً في حماسٍ للتراث وتعظيم لمآثره لا يقلّ إفراطاً عن حماس الطرف الأوّل في انتقاصه له وانبهاره بالحاضر الغربيّ.

ويمكننا أن نعدّ من هؤلاء -في منتصف القرن الماضي- مُجدّ مندور، الذي دفعه حماسه للجرجاني وإعجابه بنظريّته في النظم إلى وضعه جنباً إلى جنب مع كبار النقاد المحدثين في الغرب، ومساواة -إن لم

¹ - العقاد، عباس: بين الكتب والناس، القاهرة، 1952، ص 20

² - عصفور، جابر: نظريات معاصرة، مكتبة الأسرة، القاهرة، 1998، ص 207.

نقل تقديم- نظريته في النظم بأحدث نظرياتهم، يقول في كتابه "النقد المنهجي عند العرب": "وفي الحق إنّ عبد القاهر قد اهتمدى في العلوم اللغوية كلّها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعقريّة لغويّة منقطعة النظير. وعلى أساس هذا المذهب كوّن مبادئه في إدراك "دلائل الإعجاز". مذهب عبد القاهر هو أصحّ وأحدث ما وصل إليه عليم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري "فرديناند دي سوسير" Ferdinand de saussure الذي توفي سنة 1913".¹

وإلى جانب مندور يقف مصطفى ناصف، والولي محمد. يقول الأول: "لقد عجبْتُ حين خُيِّلَ إليّ - أكثر من مرة- أنّ بعض منحنيات النقد القديم ذات الأهمية، لا تنفصل انفصلاً حاداً عن النقد المعاصر".²

ويقول الثاني باندفاعٍ أشدّ: "وما تزال التساؤلات التي أثارها الجرجاني بشأن الاستعارة تحتفظ إلى اليوم بالكثير من المعاصرة. لقد كان وهماً ما تصوّرناه - ونحن واقعون تحت تأثير النقد الاجتماعي والنفسي والتاريخي والانطباعي - من إمكان تجاوز البلاغة القديمة باعتبارها قواعد جامدة. وإذا كانت هذه البلاغة قد فقدت الكثير من المواقع في المؤسسات التعليمية، فإن ثورة علوم اللغة وما أعقب ذلك قد نبّه الأذهان إلى أنّ البلاغة لن تموت، وخاصة إذا كانت بحجم بلاغة الجرجاني. إنّ العودة إلى الجرجاني هي عودة إلى نصّ لم يفقد جدّته، نصّ يثير من التساؤلات أكثر ممّا يقدم من أجوبة قاطعة، نصّ يفتح باب الاجتهاد ويتركه كذلك".³

¹ - مندور، محمد: النقد المنهجي عند العرب، دار تحضة مصر، القاهرة، ص 333-334

² - ناصف، مصطفى: النقد العربي - نحو نظرية ثانية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص 22

³ - الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، المركز الثقافي، بيروت، 1990، ص 66.

وإلى هذه الجماعة يمكننا أن ننسب الدكتور عبد العزيز حمودة، الذي لا يقل اندفاعه وحماسة عن أيٍّ ممّن أسلفنا، ولا سيّما في ثلاثيّته: المرايا المحدثّة، والمرايا المقعّرة، والخروج من التيه؛ التي تجسّم فيها مؤونة نقد النظريّات النقدية الحداثيّة وما بعد الحداثيّة، سواء في نسخها الغربيّة أو العربيّة، ثمّ حاول أن يقدّم بديلاً عربياً أصيلاً، وكانت نظريّة الجرجاني أفضل ما يمكن أن يتشبّث به لتحقيق ذلك الغرض، وإن كان يحاول جاهداً أن يظهر بمظهر المعتدل ويحتال في ذلك بكثير من عبارات الاحتراز والاحتياط، ولكنّ مئله لا يلبث أن يغلبه. يقول حمودة في "المرايا المقعّرة": "إنّ النظم يمثّل مكوّناً في نظرية لغوية لا تقلّ سماتها وضوحاً عن سمات أيّ نظرية لغويّة حديثة. والواقع أنّ مفهوم "النظم" يمثّل العمود الفقريّ لنظرية لغوية عربية لا تقلّ تكاملاً - من ناحية اتّساقها على الأقلّ - عن أيّ نظرية لغوية حديثة، بما في ذلك نظرية فرديناند دي سوسير التي اتخذتها علوم اللغة نقطة انطلاق إلى تشعبات وتفرعات لغوية ونقدية شبه لا نهائية"¹. ويقول متجاوزاً نطاق الجرجاني: "بعد كلّ ما قدّمناه، لا أظنّ أنّنا بحاجة إلى إعادة تأكيد أنّ العقل العربيّ قد عكف منذ القرن الثالث الهجريّ وحتىّ نهاية القرن الخامس على تطوير نظريّة لغويّة لا تختلف في مكوناتها كثيراً عن مفردات علم اللغويات الحديث الذي أسّس له فرديناند دي سوسير في بداية القرن العشرين"².

¹ - حمودة، عبد العزيز: المرايا المقعّرة (نحو نظرية نقدية عربية)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس 2001، ص 220

² - المرجع نفسه، ص 243

الختامة

طافت فصول هذه الدراسة حول مفهوم النسق وفق توجهين بنيوي غربي ، بلاغي عربي و قد
خلصنا إلى النتائج التالية :

الأصل في مفهوم النسق الغربي ينطلق من المفاهيم اللسانية التي أرساها دي سوسير .

أخذ النسق أبعاداً أكثر فاعلية في الدرس البنيوي و يمكن إدراك ذلك من خلال مقولة رولان بارت و
كلود ليفي شتروس و يلمسليف حيث حاول البنيويين تحديد الأنساق التي تؤطر النصوص و الوقوف
عليها من أجل كشف العلاقات التي تربط الوحدات النصية من أصغر وحدة إلى أكبرها و بالتالي تسهل
مهمة الناقد إذ ذاك و يمكن بناء رؤية نقدية و فنية متكاملة بعد الكشف عن نسق النص وهي رؤية قد
سبق إليها الشكلايون الروس تمثلت خاصة في دراسات فلاديمير بروب للقصة الشعبية الروسية و ما
خلص إليها من وظائف تحكم هذ القصة ، و بالتالي الخلوصل إلى قصة نموذجية تتوفر كل الوظائف و
نفس المبتغى أرادت البنيوية الوصول إليه ، و هو النص النموذجي الذي يتكأ على نسقٍ أو بالأحرى
النسق النموذجي الذي تتكأ عليه كل النصوص و بالتالي يسهل التحكم من هذا المنطلق في أي نص بل
ضاعفت البنيوية من جهودها في هذا السياق لتحاول إيجاد أنساق كبرى تمثل الأجناس الأدبية .

تشارك نظرية النظم مع البنيوية في شقها النصي (اللغوي أو البنيوي) و نجد ذلك جلياً في مقولات
الجرجاني (معاني النحو ،التجاوز بين العبارات) " لا فصاحة للفظة المفردة إلا في التركيب ، العبارات
تنظم معنى في النفس قبل أن تنتظم لفظاً في النطق "

الى هنا لا زال التطابق الإيجابي بين البنيوية و النظم فيما يخص النسق إلا أن التجاوز الذي يُحسب
للنظم خصوصاً و البلاغة عموماً هو عدم إقصائها للسياقات الأخرى (حال المخاطب) وهذا ما لم
تُقر به البنيوية إذ أنها أقصت الخارج أو السياقات الغير بنيوية .

لابد أن نأخذ بالحسبان أن النص ليس من الضروري أن يتشكل من بنى لغوية فقط ، و قراءته منهذه
الوجهة هو إجحاف في حقه و تقصير في كشف الفائدة إحقاقاً للحق فإن نظرية النظم و من خلالها
البلاغة العربية استأنست بمقاربتها النسقية بالسياقات غير لغوية و لولا الانجرار وراء الانبهار للثورة
اللسانية و البنيوية الغربية لكان لنظرية النظم شأنٌ آخر في حقل الدراسات النقدية .

و ننوّه في هذا المقام بثلاثية عبد العزيز حمودة النقدية " المرايا المقعرة ، المرايا المحدبة ، الخروج من التيه"
في التنويه بمجهود البلاغيين العرب و كشفه في المقابل لما يعتري البنيوية و ما بعدها من نقائص و فجوات
توارت وراء موجة التأثير و الانبهار العربي .

قائمة المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم

- المصادر و المراجع :

- معجم العين , المعاني ,عربي عربي .
- المعجم الموسوعي لمصطلحات اللسانيات التطبيقية – الجزء الأول. مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية. لعصيلي، عبد العزيز. (2023)
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت 255هـ): كتاب الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- الجرجاني، عبد القاهر(471هـ): دلائل الإعجاز. قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- (1) أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، 2002.
- (2) عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ط1، دار السياب، لندن، 2007
- (3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3
- (4) فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوي، ط1، دمشق، 2011
- (5) فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000

(6) عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، جامعة الأزهر.

(7) قادة عقاق، في السيميائيات العربية قراءة في المنجز التراثي، مكتبة الرشاد، ط1، الجزائر، 2004

(8) عبد القادر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي، دار ابن بطوطة، ط1، عمان، 2007

(9) مُحمَّد عبد العزيز عبد الدايم، فيصل المناع، نظرية السياق بين التوصيف والت، اصيل والإجراء، دار البصائر، ط1، بيروت، 2015

(10) مُحمَّد مُحمَّد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للنشر، ط1، القاهرة، 2001

(11) المهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى دراسة، اسلوبية، ط1، اكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، 2011

(12) أحمد مُحمَّد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط3، دمشق، 2008.

(13) أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1993.

(14) الأخضر جمعي، اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب، إتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، 2001.

(15) الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1998، ج1

- 16) عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، .
- 17) الزمخشري، اساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ج 1، 2001 .
- 18) صورية جغبوب، أصول ودلالات السياق المقامي في التراث العربي، مجلة كلية الآداب واللغات، بسكرة، الجزائر، ديسمبر 2014، العدد 16 .
- 19) عوادي كاظم مشكور، البحث الدلالي عند ابن سينا، مؤسسة البلاغ، د ط، مصر، 2003

المقالات:

- 1) أسس النظرية البنيوية في اللغة العربية ، د. جمعة العربي الفرجاني ، قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - الزاوية ، جامعة الزاوية
- 2) الدرس اللغوي والبلاغي عند العرب وأثره في تأسيس النقد الأدبي ، حليلة عواج * حسين مبرك - جامعة باتنة 1 جامعة محمد بوضياف ، المسيلة

المجلات:

- 1) المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والإنسانية ، المجلد 07 / العدد 01 (2019) ص 103- 123 ، الأسطورة كنسق سيميائي لدى رولان بارت ، نصيرة عيسى مبرك* - جامعة باتنة 1 الجزائر .

(2) مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 5 السنة: 2020 ص: 251-268 ،

الأنساق اللغوية وتحليلاتها الدلالية ، خيرة عيشون ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

(الجزائر).

المراجع الإلكترونية :

مختار زواوي ،مسائل في اللسانيات / <https://www.alaraby.co.uk/culture> 1)

و علم العلامات :قراءة في نصوص فرديناد دو سوسور

المذكرات:

(1) مذكرة ماستر ، تخصص : علوم اللسان ، الموضوع : النسق و دوره في اللسانيات العامة "

مدونة دي سوسير نموذجاً" للطالبتين ساحلي كهينة ،زكريني ليندة ، جامعة بجاية ، الجزائر

الفهرس.

الفهرس:

..... الشكر

..... الاهداء

1..... مقدمة

5..... المدخل : مفاهيم نظرية

5..... مفهوم النسق

7..... البنيوية:

7..... خصائص المنهج البنيوي :

8..... مبادئ المنهج البنيوي :

10..... التراث:

الفصل الأول: مفهوم النسق في الفكر البنيوي الغربي

13..... النسق عند بعض علماء الغرب

13..... النسق عند دي سوسير :

16..... التأثير بالأنثروبولوجيا البنيوية (كلود ليفي شتروس) :

16..... ليفي شتروس وعلم النفس والتحليل النفسي :

18..... النسق عند "رولان بارث": (Roland Barthes) :

19..... النسق عند "لويس يلمسليف":

الفصل الثاني : النسق في التراث اللغوي والبلاغي العربي

22	السياق عند بعض علماء العرب
27	أولاً: السياق لدى الجاحظ (ت255هـ) :
32	ثانياً: السياق لدى ابن جني (ت392هـ):
35	ثالثاً: السياق لدى ابن سينا (ت467هـ):
37	المقارنة بين النظم في التراث العربي و النسق عند الغرب :
39	نظرية النظم من المنظور النسقي :
52	رأي النقد الحديث في "نظرية النظم" للجرجاني:
	الخاتمة :
	قائمة المصادر والمراجع.
	الفهرس:.....

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مناطق التماس بين الدرس البنيوي الغربي و الدرس البلاغي العربي في مقارنة لمفهوم النسق على اختلاف الأدوات و السياقات التاريخية و الثقافية بين الدرسين ، ذلك أن النسق باعتباره آلية من آليات نقد النص و تحليله و الوقوف على مكامن تكوينه يعدُّه الكثيرون امتداداً طبيعياً للدرس اللساني السوسيري و التأثير به عربياً هو تأثُّر باللسانيات الغربية عموماً و البنيوية على وجه الخصوص .

في حين يرى البعض ، أنَّ ما طرحته البنيوية في مقاربتها التَّسقية نجد ما يُماثله أو ما هو أكثر منه علمية و تُضجاً في الدرسين اللغوي و البلاغي العربي .

كانت المقارنة بين الدرسين سالفِي الذكر و لئنْ هي مقارنة في الحقيقة بين حادثة غربية و تراثٍ عربي و هي معادلة مختلفة إلى حد ما ، و الأصل أن تكون المقارنة بين الحادثة الغربيَّة و الحادثة العربيَّة ، إلا أنَّ صوتَ التراثِ دائماً نجده يهَمُّسُ في أفكارنا بأنَّ نُعيد النظر في تقييمه و قراءته بآلياتٍ حديثةٍ حتى و لو كانت غربية ، و ذلك ما نجده في مقولات مُحمَّد مندور و كلُّ من أنصف هذا التراث بكل أبعاده .

و ربما يأخذُنا الحديثُ في هذا السِّياقِ إلى أَقاصي بعيدةٍ ، إلا أنَّ الكلامَ في هذا البحثِ كان محصوراً على بعضِ العلماءِ ك: (الجاحظ ، ابن جني) و قد أخذ الجرجاني حصة الأسد من البحث و الاهتمام لِأَنَّهُ في اعتقادنا يمثلُ دُرُوةَ الدرسِ البلاغي و فيه يمكنُ أن تتجلى مفاهيم نسقيَّة من خلال نظرية النِّظْم لاطالما ردها بنفس المفهوم علماء البنيوية.

Résumé :

Cette étude vise à identifier les zones de contact entre les études structurales occidentales et les études rhétoriques arabes dans une approche du concept de système, malgré les différences d'outils et de contextes historiques et culturels entre les deux études. C'est parce que le système, en tant que mécanisme de critique et d'analyse de texte et d'identification des sources de sa formation, est considéré par beaucoup comme une extension naturelle des études linguistiques saussuriennes, et son influence sur le monde arabe est une influence de la linguistique occidentale en général et du structuralisme en particulier .

Certains pensent que ce que le structuralisme propose dans son approche systématique est similaire ou plus scientifique et mature dans les études linguistiques et rhétoriques arabes

La comparaison entre les deux leçons susmentionnées, bien qu'il s'agisse en fait d'une comparaison entre la modernité occidentale et l'héritage arabe, est une équation quelque peu différente, et la comparaison originale devrait être entre la modernité occidentale et la modernité arabe, mais nous trouvons

toujours la voix de l'héritage qui murmure dans nos pensées que nous devrions reconsidérer son évaluation et sa lecture avec des mécanismes modernes, même s'ils sont occidentaux, et c'est ce que nous trouvons dans les déclarations de (Muhammad Mandour) et de tous ceux qui ont rendu justice à cet héritage dans toutes ses dimensions.

Peut-être que la discussion dans ce contexte nous mènera loin, mais la discussion dans cette recherche s'est limitée à certains savants tels que : (Al-Jahiz, Ibn Jinni) et Al-Jurjani a pris la part du lion de la recherche et de l'intérêt parce que, à notre avis, il représente le summum de l'étude rhétorique et dans celle-ci, les concepts systématiques peuvent être révélés à travers la théorie de l'organisation, qui a toujours été répétée avec le même concept par les savants structuralistes.